

لميشال زيشياكو

الوكوت تذالهتريها

الكتبة العتافية بيروت - لبنات من بدر ٢٧٢٧

الولاء الكاذب

اصاب خبر موت البنفسجية الدوق دي كيز في الصميم • • وهو الخبر الذي القته اليه فوستا وهي تودعه ، فمضى ليله في هم مقيم وحزن عظيم، • وبكاء متواصل •

فلما اصبح الصباح تمالك نفسه وفكر في المستقبل الباسم امامه ، والعرش الذي سوف يجلس عليه ، والفتوح التي وعدته فوستا بها، والملك الذي يجب ان يموت ليحل محله ، والرحلة الى (بلوا) حيث مقر الملك ، فأمر خادمه بفتح باب القاعة الكبرى ليستقبل النبلاء الذين كانوا قد تجمعوا في الاروقة والغرف المختلفة بالتظاره ،

ولما مثل الجميع امامه قال لهم :

ـ لقد امر الملك ايها السادة باجتماع المجالس النيابية فارسات الاقاليم نوابها الى (بلوا) وعلينا ان نسافر الى هذا المكان تلبية لرغبات الملك ، ولكي يشارك ممثلو باريس نواب الولايات المختلفة في شؤون الحكم والادارة .

ولما انصرف النبلاء ليستعدوا لهذه الرحلة ، كتب الدوق دي كيز الرسالة التالية الى فوستا:

« سیدتی

« لقد اقنعني حديثك وارضاني ، ولم اعد اطيق الصبر لحظة عـــلى تنفيذ المشروع الخطير الذي وضعت خطته .

« ولهذا قررت السفر الى (بلوا) حالا ، وبعد الانتهاء من كتابة هذه الرسالـــة .

« وساتشرف بانتظارك في بلوا لتنفيذ الامرين الخطيرين اللـذين النفين الفقنا عليهما •

« اولهما موت من تعرفين ، وثانيهما اتحاد قوتينا » • هنري دوق دي كيز الآن

وادار وجهه يبحث عن رسول يكلفه بحمل الرسالة الى صاحبتها ، فشاهد (مورفر) فكلفه بها ٠٠ وحذره من اضاعتها لخطورتها ٠

وغادر (مورفر) قصر الدوق وهو يقول في نفسه: ليس هذا الرجل ممن يوثقون به ، فهو ابدا يتبدل ويتقلب ، ولو كنت واثقا ان بارداليان لقى حتفه ، لابتعدت عنه ، وسرت في سبيل آخر ، ومضيت اكيد له وانتقم منه .

ولكني لا استطيع شيئا ضده في الوقت الحاضر، وهو القموي العزيز .

ولقد توجه مورفر الى منزله الخاص قبل ان يذهب الى قصر فوستا ، وبعد ان احكم اقفال الباب وارخى الستائر ، اخذ شفرة رقيقة ومضى يعالج بها الرسالة حتى فض غلافها وقرأ محتوياتها ، فاهتاج واهتم لما فيها، واخذ ورقة وراح يقلد خط الدوق حتى استقام له ذلك بعد جهد ، فوضع

الرسالة المقلدة في الغلاف ، واعاد الختم الى ما كان عليه ثم وضع الرسالة الاصلية في جيب من جيوبه السرية ، وهو يقول في نفسه :

_ هذه لملك فرنسا .

وبعد ان سلم الرسالة الى فوستا ، عاد الى قصر الدوق فوجده قــد غادره الى (بلوا) فمضى خببا على جواده حتى لحقه ، وقال له :
ــ لقد قضى الامر يا مولاى ٠

وقف بارداليان في ذلك الرواق المظلم من قصر فوستا دهشا حسائرا لما سمعه من الحديث الذي دار بين الدوق وهذه المرأة الجهنمية ، وراح يقول لنفسه:

ــ اليس من المؤلم ان تكون هذه المرأة الجميلة الذكية من اهــل الخيانة والغدر ، فاني لم اكــد انقذها من الموت حتى طلبت مــن الدوق قتلى .

ولما عادت فوستا الى غرفتها بعد ان ودعت الدوق ، فكر بارداليان في الدخول عليها وتأنيبها ، ولكنه ما لبث ان تمالك نفسه ، حين شاهدها تجلس على كرسي وتبكي •

ثم ما لبثت ان تمالكت نفسها ٠٠ وقرعت جرسا ٠٠ فأقبل خادم ، وقف بعيدا حين رآها تكتب ٠

وكان الكتاب طويلا استغرق ساعة من الزمن ، فلما انتهت منه وختمته سألت الخادم عن الكونت ، فاجابها انه في موقفه قرب سانت دنيس • فقالت له :

- سر بهذه الرسالة اليه ، وقل له ليسافر في الساعة الثامنة من الصباح الى دنكرك ليدفع هذه الرسالة الى الكسندر فرنيز • • وقل له اذا لم يجدني في باريس عند عودته ، فليلحق بي في (بلوا) •

ولما خرج الخادم لينفذ امرها ، قال بارداليان في نفسه ، لا شك انها تأمر الكسندر فرنيز في هـــذه الرسالة للتأهب لدخول فرنسا كـــي يغدو الدوق دي كيز امبراطورا على اوروبا كلها •• كما وعدته ان يكون •

غادرت فوستا القاعة على الآثر ، فاقبل خادم واطفأ الانوار ، وبعد قليل لم يعد بازداليان يسمع صوتا فايقن ان الجميع قد ذهبوا لمضاجعهم ، جرد خنجره ومضى يبحث عن الباب الخارجي ، فوصل الى ردهة كان فيها نور ضعيف ، ولم يكن فيها احد من الحراس ، لان جميع حراس فوستا انضموا الى الكردينال روفيني وتركوا فوستا لمصيرها ، فلم يجد والحالة هذه صعوبة في فتح الباب ، واقفاله بعد خروجه ، وكانت ساعة كنيسة نوتردام تدق مؤذنة بانتصاف الليل ،

توجه باردالیان الی فندق دفنیر علی التو ، فلما بلغه وطرق الباب ، وفتحت له الخادمة ، طلب منها ان تعد له طعاما ، فقد كان شدید الجوع . فقالت تعتذر :

اني اكاد اموت من النعاس يا سيدي الشفاليه .

ــ اذَنَّ اذهبي الى غرفتك ، ولا تنسي ايقاظي في الساعــة السادسة صباحا .

فلما تركته وشأنه ذهب الى المطبخ يعد لنفسه طعاما ، فارتبك واخطا ، واخذ يضحك من نفسه ، واحس بحركة خلفه فالتفت فشاهد هيكيت صاحبة الفندق تراقبه وتضحك ، ثم تقدمت منه ، وابعدته عن النار واخذت تعد له طعامه ، وهي تقول :

ــ سوف اطرد الخادمة غدا .

ــ لا تفعلي فانا التي سألتها ان تعود لفراشها •

واقبلت هيكيت تخدمه ، وتهيء له طعامه ، وهي راضية شاكرة مسرورة فرحة ان تمكنت من خدمته ، والاشراف على راحته ، وكانت كما يعلم القاريء تحب بارداليان حب جما ، وتحترم حبه لزوجت الميتة ، فتحتفظ بحبها في قلبها ، وكان اقصى امانيها ان يظل بقربها ، ولا يترك فندقها لتقر عيناه بقربه .

وبعد ان تناول بارداليان طعامه ، اوى الى فراشه ثم ايقظته الخادمــة في السادسة صباحا فتوجه الى كنيسة سانت دنيس التي سمع فوستا تقول ان الكونت احد رجالها يقيم في منزل بقربها •

ولما وصل الى المكان ترجل عن جواده ، واختبأ خلف شجرة في الطريق، فاقبل بعد نصف ساعة خادم فوستا قادما من باريس ، فعرفه بائه الرجل الذي يحمل رسالة الكسندر فرنيز الى الكونت المجهول •

ودخل خادم فوستا الى المنزل ، ثم غادره عائدا الى باريس بعد ان سلم الكونت الرسالة .

وظل بارداليان منتظرا في مكانه ، حتى خرج الكونت فركب جوادا وسار في طريق دامارتين ، فمضى بارداليان في اثره ، حتى وصل الى قرية فنام في فندقها ، وفعل بارداليان مثله ، ولكنه لما افاق في صباح اليوم التالي وعرف من صاحب الفندق ان الكونت قد سافر ليلا ، ادرك انه قد اكتشف سره ، وانه يتأثره ، فمضى يلحقه حتى لحق به ، ودعاه لتسليم الرسالة منه، التي معه فرفض الكونت ، فبارزه بارداليان وجرحه ، ثم اخذ الرسالة منه، ومزقها امام عينيه ، وهو يقول :

ــ لقد خطر ببالك اني سوف استعمل هذه الرسالة ضد فوستــا ، والسلمها للملك لينتقم منها ، والواقع كما ترى غير ذلــك ، فليس يهمني

القضاء على فوستا ، رغم محاولاتها العديدة لقتلي ، وانما اريد فقط افساد كل مشاريعها ، وشل حركاتها • • والقضاء على مكايدها •

وبعد ان ضمد جراح الكونت سلمه الى عجوز عثر عليها للعنايـة به في قريتها القريبة بعد ان حمله الى منزلها ، ودعا طبيبا عجوزا لمعالجت، وبعـد ان فحصه الطبيب او المتطبب على الاصح ، قال انـه سيشفى . . ولكنه يحتاج الى شهرين للراحة .

وعاد باردالیان الی باریس بعد ذلك للبحث عن مورفر ، ولقاء الدوق دى كيز .

ولكن الدوق كان في الطريق الى (بلوا) كما قدمنا ، بصحبة مائة وخمسون نبيلا كانوا جميعا من انصاره ، ويضحون انفسهم في سبيله . وكان يعلم الى هذا ان جميع النواب الذين يحضرون الجلسة الكبرى

في (بلوا) • • لا بد ان يكونوا باكثريتهم من اتباعه وانصاره ايضا •

ولهذا فسيكون هو رئيس المجلس الحقيقي لا الملك ، الذي لا يناصره غير قوة من الجند بقيادة كيرلون ٥٠ وقد علم مــن مورفر ان الجنــود بشكون من تأخر مرتباتهم ٥٠ وانهم يتأهبون للثورة والعصيان ٠

ولما وصل الدوق وانصاره الى مكان قريب من (بلوا) شاهد جمعها من الفرسان يتقدم نحوه ، ولما مثلوا امامه اخبروه انهم وفود نواب الشعب الذين ارسلوهم لتحيته واستقباله ٠

فسر بذلك سرورا عظيما ، واطمأن الى فوزه القريب بالعرش .

 وقد غصت الشرفة ودراجات السلم الكبير بالنبلاء والجنود ، وأنتشر الحراس هنا وهناك وكان في القاعة ما يقرب من عشرين نبيلا ، ينظرون الى الملك وامه دون ان يتكلموا او يتجركوا ، فيما كانت الملكة كاترين جالسة في زاوية من زوايا القاعة تتحدث مع احد الكهنة .

وسمع الجميع ضجة في الخارج •

وتجاهل الملك سبب الضجة •

وقال للكونت دى لوان : .

ـ اذهب وانظر ماذا يجري خارج القصر يا كونت .

واقبل (كالابر) في هذه الاثناء وكان قد اطل من النافذة ، عند سماعه الضحة ، تقول للملك :

لقد وصل الدوق دي كيز يا مولاي •
 وقال الملك بلهجة ادهشت الجميع :

_ اي شيء له معنا ، وماذا جاء يعمل هنا ؟

وكان الدوق قد اخذ يصعد السلم في هذه الاثناء ، وخلفه حاشيت ورجاله وحراسه ، ففطن (كريلون) قائد حرس الملك الى معنى هذه الظاهرة وما فيها من تحد للملك ، فحال بين الدوق ورجاله ، وقال للدوق واخوب :

ـ اقد امرني الملك ان اخبركم بانه يتفضل بمقابلتكم ••

ثم التفت الى رجال الدوق وقال لهم:

ـ واما انتم ايها السادة فتفضلوا بالانتظار .

وحاول رجال الدوق الاعتراض ، فتدخل الدوق ، ودعاهم الى انتظاره في مكانهم •

ثم قال لكريلون :

ـ تفضل يا سيدي بادخالنا الى جلالة الملك •

وقف رجال الدوق على السلم الذي ازدحم بهم وبرجال الملك ، واختلط الفريقان وجعل كل منهما ينظر الى رفيقه ، نظرة العداء والتحدي. واما كريلون ، فقد ادخل الدوق واخويه الى قاعة الملك واقفل الباب خلفهم •• ووقف على الباب ينتظر ما يكون •

وكان الملك جالسا على كرسيه ، وقبعته على رأسه ، وقد اسند كوعه السي الكرسي ، وتقدم الدوق وشقيقاه نحـو عرش الملـك حيث حنوا رؤوسهم ووقفوا ينتظرون ما يقول .

ولم يقل الملك شيئا في اول الامر ، وساد صمت هائل في القاعة الكبيرة •

ثم قال جلالته:

ـُ اهذا انت ايها الدوق • • ما الذي تريد ان تقوله لنا ؟

وارتعش جميع من في القاعة لهذه اللهجة القاسية ، وهـذا الاستقبال الفاتر ، ومدوا ايديهم الى سيوفهم وخناجرهم ، وتمالك الـدوق نفسه ، وقـال :

ــ تعلمون يا مولاي ، ان اخي الكردينال رئيس حزب الاساقفة ، وقد اتى يمثلهم عند دعوتكم النواب للحضور ٥٠ كما ان اخي الدوق دي مايان زعيم النبلاء في اللورين ، قد اقبل يمثل هؤلاء النبلاء ايضا ٠

فأجابه الملك بلهجة قاسية:

ــ وانت ایها الدوق •• فانی لا اری فیك غیر زعیم تورات ورئیس مؤامرات •

واصفر" وجه الدوق من هول التهمة •• ومضى الملك يقول :

ـ اني لم اسألك عن اخويك ، واني سألتك عن نفسك ، فمـا الذي جئت تفعله هنـا ؟

وتقدمت الملكة كاترين من كرسي ولدها ، فأحس الدوق بالشر ، وقال في نفسه :

ــ اذا بدرت منهما بادرة غدر ، ناديت رجالي ، وليكن ما يكون . وقال الدوق :

- اني يا سيدي احد النبلاء الذين دعوتهم ، وقد رأيت من واجبي المبية الدعوة .

فعاد الملك يقول:

۔ انبي لا اسألك عن سبب قدومك الى (بلوا) ، ولكن الى هنا ... الى قصر الملك فما الذي جئت تفعله ؟

فتلعثم الدوق ، ولم يحر جوابا ، وهمس الكردينال في اذنه ، وكان اثبت منه جنانا :

ـ ما هذا الجبن ؟ ولماذا لا تجرد حسامك ؟

ومضى الملك يقول :

· ـ ثم انك اتيت لمقابلتي ومعك عدد كبير من الحرس والحاشية ، لا اسير انا على رأس مثلهم ولو شاهدنا المارة لظنوك الملك دوني .

حاولت كاترين ان تتدخل ولكن الملك قاطعها ، ومضى يقول للدوق : ــ دعيني وشأني فليس هنا غير ملك واحد ، ومتى تكلمت وجب على

الجميع ان ينصتوا ويسمعوا .

ثم التفت يقول للدوق :

- انبي اهنئك بهذه الحاشية ، ولكنها لا تزال تنقص رجلا ، وهو ذلك الراهب الذي اراد قتلي في كنيسة شارتر ، العلك نسيته في باريس ؟ وعظم هياج حاشية الملك عند سماعهم هذا الكلام ، وعادوا يتحسسون سيوفهم ، والتفت الدوق الى الباب ، كمن يهم بالإستنجاد برجاله ،

ولكن كاترين اسرعت فتدخلت بعد ان استأذنت من ولدها الملك ، وقالت للدوق :

ـ لا بد انك تعلم ايها الدوق اننـا اكتشفنا مؤامرة لقتل الملك فــي شارتر ، لولا رحمة الله التي انقذت الملك ، وقد جاء هذا القاتل معك من باريس ، وهو ما اراد جلالته ان يقوله •

وانكر الدوق ان يكون له علم بهذه المؤامرة ، او ان هناك رجـــلا في المملكة كلها يريد الاساءة الى جلالة الملك •

وابتسمت الملكة وقالت:

ــ والآن وقد جئت لزيارة جلالته ، فهو يريد سؤالك عن السبب في هذه الزيارة ؟

وتمالك الدوق نفسه ، واغتنم هذه الفرصة ، فاعلن انه جاء يدعسو الملك للعودة الى عاصمته ، ويقول هذا على ملا من جميع النبلاء السذين اتوا معه .

وقد امر الملك بفتح باب القاعة ، فسمع الجميع كلام دي كيز، ومضى الدوق ينكر ان تكون له علاقة بالفتن والثورات التي وقعت في فرنسا ، وانه لولا وقفته الشديدة ضد الثوار لاستفحل الامر • وتطور المسوقف وختم حديثه : وقد جئت اضع حسامي تحت قدمي جلالة الملك ، واعرض عليه سلما موطد الاركان اذا كان هناك خلاف وخصام •

وقد اضطرب اتباع الدوق وانصاره لهذا الكلام الذي اعلنه زعيمهم المام الملك ، واعتذر له آخرون بانه يتظاهر بالطاعة والخضوع والمسالمة لغاية في نفسه .

وكانت هناك قلة تعرف اغراض الدوق فلم تدهش لهذه التصريحات • وقال الملك :

- ــ اتعيد ما قلته الان ايها الدوق امام الهيكل في الكنيسة ؟ فتردد الدوق لحظات ، ثم قال :
 - ـ بالتأكيد يا مولاي ، وعندما يصدر امر جلالتكم .
 - ـ اتقسم بالقربان المقدس يمين المسالمة والاخلاص ؟

فقال الدوق:

ـ اني مستعد لحلف اليمين يا مـولاي عند عودتنا الى باريس فـي كنيسة نوتردام •

فقاطعه الملك:

ـ بل تحلف هذا اليمين هنا ، وفي كنيسة بلوا فان الكنائس سواء عند الله • • وسنذهب الان الى الكنيسة •

وخاطب الملك كريلون رئيس حراسه وقال له :

ــ سنذهب الى الكنيسة يا كريلون ، ليسمع الجميع قسم الدوق ، واما الان فاتركوني وحدي .

ولما خلا الى امه ، تحدث اليها ، بشوقه للعودة الى باريس .

فقيالته له :

ــ يبدو انك تريد العودة اليها لتعود لحياة العبث واللهو • وانفاق الامــوال دون حساب ، ولــكن المجالس النيابية قــد لا تقرك على هذا الاسراف • والشعب لن يسكت الى الابد عليها • •

« ولتعلم يا بني ان الخلاف بيننا وبين دي كيز لم ينته ، وهو سيقسم هذا القسم مكرها ، وسيحنث به في الوقت المناسب » .

ولكن الملك لم يلق بالا لتحذيرات امه ، وذهب الى الكنيسة مسع رجاله ، حيث حلف الدوق دي كيز يمين الاخلاص للملك امام جمع غفير من النبلاء والجنود . ولما انتهت الصلاة ، غادر الملك الكنيسة بعد ان دعـا الدوق للعشاء عنده مع اخويه .

وظُــل رجال دي كيز حول الكاردينال شقيقه في الكنيسة ، وهــم يصيحون ويقولون :

ــ هذه خيانة • • فليس من حق الدوق ان يحلف باسم سواه • • وان يربط اعضاء الحزب المقدس بما ربط به نفسه •

وقال الكاردينال يطمئنهم:

ــ تمهلوا ايها السادة واسمعوا ما اقوله ٠٠

« لقد اقسم اخي الدوق يمين الولاء ، ولكن لمن » ؟

فصاح الجميع:

_ للبلك طبعا •

ــ ولكنه لم يقسم يمين الولاء لهنري الثالث • • بل لملك الحــزب المقدس ، الذي ستختارونه انتم • • وليس لهنري الثالث الذي سيموت •

رأس الدوق

سر الجميع لهذا التفسير وسرسى عنهم ، وعادوا الى مرحهم ولهوهم وعبثهم •

ولما جلسوا لتناول الطعام على مائدة الملك ، كان الفلكي ريجيري يراقبهم من نافذة تطل على صالة الطعام ٠٠ فلما انتهوا من الطعام على على طاقة الطعام ٠٠ فلما انتهوا من الطعام على فراشه ٠ يلعبون الورق ، حتى اذا احس الملك بالتعب غادرهم وأوى الى فراشه ٠

وغادرت الملكة كاترين القاعة على الاثر في طريقها الى الغرفة التي كان فيها الفلكى ، فالتقت (مورفر) في طريقها ، فصاحت تقول :

_ مورفر • • اننا لم نرك من زمن بعيد ؟

فقال:

- نعم يا سيدتي ٠٠ انا مورفر ٠٠ الذي هو مـن اخلص المخلصين الجلالتك ٠

فقالت بهدوء مرعب:

ــ ما الذي كنت تفعله يا مورفر حين غادر ولدي الملك باريس ؟ فقــال :

لقد فهمت قصدك يا سيدتي ، فقد كنت في خدمة الدوق دي كيز كل هذه الفترة ، وكنت من اعضاء حزبه المقدس ومن العاملين على اقصاء الملك عن عاصمته ، ولكن السبب في هذا كله ، تجاهلك اي بعد كل الخدمات التي قدمتها لك اثناء المذبحة العظيمة ، وبعد ان قطعت رأس كوليني وجئتك به ٠٠ فكان ان انتقلت الى المعسكر الآخر ٠٠ بعد ان تجاهلت خدماتي ، ونسيت مكافاتي ٠

واشتد بالملكة الغضب بعد هذا الجواب، وامرته بمغادرة المكان •

واكن الفلكي الذي كان قد سمع طرفا من الحديث ، تدخل واشار اليها اشارة خاصة ، فبدلت لهجتها وقالت :

_ لقد عفوت عنك يا مورفر ، رغم ما سمعته منك مـن التصريحات الغريبة .

فركع عندئذ مورفر على قدميها وقال :

_ استطيع الان ان احدثك بما جئت لاجله .

فادركت الملكة انه يحمل اليها سرا كبيرا فقالت:

۔ تکلے •

وقال الفلكي:

لا بد انه يحمل اجلالتك نبأ عظيما يستحق عليه المكافأة والثواب •
 فقال مورفر :

_ بالتأكيد • • لقد اتيت احمل الى جلالتها رأسا ايضا ، كما فعلت في مذبحة برتلماوس •

واحمر وجه الملكة من السرور • وادركت ان هذا الرأس الجديد لا بد ان يكون رأس الدوق دي كيز • • فليس من خطر على الملك اليوم غيره •

سألته:

ماذا تطلب مقابل ذاك ؟

فقال:

ــ اني اكتفي بثلاثمائة الف دينار ، وهو مبلغ قليل لان الرأس الذي اتكلم عنه يساوي اضعاف هذا المبلغ .

فقالت الملكة في نفسها:

- بل انت على استعداد لتخون سيدك دي كيز مجانا لحقدك عليه . وطلبت الملكة من الفلكي ان يأتيها بورقة من الاوراق الموجودة في الدرج الثالث من خزانتها ، وكانت هذه الاوراق حوالات على الخزينة لم تذكر فيها المبالغ التي يراد صرفها ، وهي موقعة بامضاء الملك هنري الثالث ملك فرنسا .

وقـــد وقعت كاترين على الــورقة بمبلغ خمسمائة الف دينـــار باسم (مورفر) على ان يقبض المبلغ في باريس ، وفي اليوم التالي لموت دي كيز •• وحين يستقل الملك بالحكم والسلطان •

وسر (مورفر) بالنجاح الذي حصل عليه ، فقد كسان همه الحصول على المال اللازم والهرب من بارداليان الى ارض الله الواسعة ، والانتقام من دي كيز الذي اغفله وتهاون في امره ، واحتقره .

وضع (مورفر) الورقة في جيبه ، واخرج من سترته ورقة ثانية وهو يقول :

- لقد اعطيتني ورقة على الخزينة يا سيدتي ، وانا سأقدم لك ورقــة قد تطيح برأس دي كيز اذا قرر الملك ذلك .

واخرج رسالة دي كيز الى فوستا ، وهي التي احتفظ بهـــا ، واعطى فوستا الرسالة المزورة .

والجذت كاترين تقرأ ما يلى :

« سيدتي

« لقد اقتنعت من كلامك حتى لم اعد اطيق الصبر على تنفيذ المشروع الخطير الذي رسمت لي خطته ، واصبحت لا استطيع الصبر لا شهرا ولا اسبوعا ، وانا مسافر على التوالي (بلوا) لتنفيذ الامرين الخطيرين اللذين اتفقنا عليهما • • وهما قتل من تعرفين ، واتحاد قوتينا كما تعلمين • الامضاء

هنري دي كيز (في الوقت الحاضر)

ولقد قرأت كاترين الرسالة اكثر من مرة ، حتى استوثقت من الاغراض الواضحة التي ترمي اليها بكلمات مبهمة ٠٠ ثم سألته :

- ــ لمن اراد ارسال هذه الرسالة ؟
 - _ الى الاميرة فوستا •
 - _ اذا فهي لم تصل اليها •
- ـ بل لقد ارسلت نسخة مقلدة منها ، زيادة في الحيطة والحذر . فسرت الملكة بهذا الجواب ، وقالت :
 - _ اواثق انت ان احدا لم يطلع على هذه الرسالة ؟
 - _ كل الثقة •

وعندئذ اشارت الملكة اليه بالانصراف ، ثم استندت على المائدة بيدها واخذت تفكر •



غادرت فوستا قصرها الى (بلوا) بعد ايام من سفر الدوق دي كيز الى باريس •

وفي الساعة التي برحت فيها العاصمة من باب مونمارتر ، اقبل اليها بارداليان من باب سانت دنيس ، بعد ان تمكن من انتزاع رسالة فوستا الى الكسندر فرنيز من الكونت الذي بارزه وجرحه ، وتركه يعالج في احدى القرى البعيدة عن العاصمة .

فلما علم بسفر الدوق الى (بلوا) كر راجعا مــن حيث اتى ، وقرر السفر الى (بلوا) ايضا ، لعله يعثر على (مورفر) او يقع على (دي كيز) فينتقم من الاثنين معا .

وُمر في طريقه بدير اليعاقبة حيث زار (جاك كليمانت) • • فعرف منه انه لا يزال مصرا على قتل الملك ، واكنه ينتظر كلمة من بارداليان تقول له • • أنت وشأنك •

فهز بارداليان رأسه وقال:

ــ الافضل ان تنتظر قليلا ايضا •• وبهـــذه المناسبة تعال معي الـــى (بلوا) فانى مسافر اليها ، وبحاجة الى رفيق في الطريق •

وما كاد الرجلان يغادران الدير حتى ارسل رئيسه رسالة الى الدوقة دي موتنبانسيه يخبرها فيها ان جاك كليمانت في طريقه الى (بلوا) •

وكان رئيس الدير قد سمع الحديث الذي دار بين الرجلين من خلف الباب ، وظن ان بارداليان لا بد ان يكون احد المتآمرين ، وانه هو الذي يقرر الساعة التي يجب فيها ان يضرب الراهب ضربته .

وكانت الملكة كاترين في هذه الاثناء ، وبعد ان تسلمت من (مورفر) رسالة الدوق دي كيز الى فوستا ، قد راحت تراقب الدوق ، وتفكر فسي اللحظة المناسبة ، التي تفاجىء فيها دي كيز بسر جريمته ،

وكان قد وصل في هذه الاثناء رسول من ملك النافار يحمل رسالـــة

الى الملك هنري الثالث ، فقرأ الملك الرسالة امام النبلاء والاعيان الذين كان يغص بهم قصره ، فاذا ملك النافار يطلب ان تعاد الى الهيكونوت املاكهم التي وضعت الدولة يدها عليها ، وان يقر مبدأ حرية السدين ، فضج الحاضرون من الطلبين ، واخذوا يضحكون ويتندرون بهما ، واجاب الملك رسول ملك النافار بانه سوف يدرس هذين المطلبين ، وانه سيكلف الدوق دي كيز قائد الجيوش بحمل رسالته هذه ،

وعلا على الاثر هتاف النبلاء والاعيان ، واعتبروا كلام الملك دليــــلا على اعلان الحرب على الهيكونوت •

ولما حمل رسول ملك النافار جواب ملك فرنسا اليه ، قرر هذا تعبئة جيشه ، والوصول الى اغراضه ومطاليبه بحد السيف .

وفي هذه الليلة اجتمعت الملكة كاترين الى ولدها ، واخبرته بان الدوق دي كيز يريد قتله ، واعطته الرسالة ، فقرأها ، وبدا الخوف واضحا على وجهه ، ثم سألها : متى حصلت عليها ٠

فاجابته : منذ اسبوع ، فسر"ى عندئذ عن الملك وقال :

_ لقد كتب هذه الرسالة قبــل ان يقسم في الكنيسة يمين الطــاعة والاخلاص •

ولما حاولت الملكة اقناعه بان الدوق سوف يخون ويحنث بقسمه رفض تصديقها فطلبت منه مهلة ايام ثلاثة ، لتحمل اليه البرهان القاطع على خيانته .

فقال لها الملك:

- اذا حصلت على هذا البرهان فسأقضي على الدوق القضاء المبرم • « نعم اذا فعلت ، وحملت الي " الادلة الثابتة على خياتته دعوت ابسل رجالي وطلبت منهم ان لا يعودوا الي " الا برأسه » •

ولكن الملكة نصحته ان يظل هادئا مجاملا لمه حتى تسنح الفرصة المناسمة لقتله • • هو ورجاله •

وقع هذا في يوم الاحد •

وفي مساء هذا اليوم نفسه وصل الى مدينة (بلوا) الراهب اللذي ارسله رئيس دير اليعاقبة حاملا رسالة منه الى الدوقة شقيقة الدوق دي كيز ١٠ التي يحبها جاك كليمانت حبا جما ، والتي كانت تحاول التقرب منه وتظهر امامه بمظهر الملاك الذي يأمره بقتل الملك ٠

وقد وصل هذا الراهب الى فندق القديس متى عند وصوله مساء يوم الاحد من فوجده فندقا فاخرا قد اجتمع في قاعته عدد كبير من رجال الدوق دي كيز يشربون ويعبثون .

حاول العودة من حيث اتى ٠٠ والبحث عن فندق آخر اقل نفقة واسهل منالا ، وفيما هو في سبيله شاهد (مورفر) يجلس على مائدة وحده يتأهب لتناول طعامه ، فاهتاجت معدته ، وعرف في مورفر صديق الدوق العزيز ، وقال في نفسه :

ــ لقد بلغت غايتي فانا لا اعرف احدا في هذه المدينة ، وسأسأل مورفر فيرشدني الى مكان الــدوق دي موتتبانسيه ، ولا بــد ان يدعوني الى مائدته ، فاملاً معدتي الفارغة طعاما شهيا فاخرا • • لم اذق مثله مناد سنوات •

تقدم الى مورفر وسلم عليه قائلا: ــ السلام على سيدي المركيز دي مورفر •

فاجابه مورفر بجفاء :

_ لست بمركيز •

لم يتأثر الراهب لهذا الجفاء ، فقد كانت رائحة الطعام قد ملكت عليه كل حواسه ، فمضى يقول :

ــ يسرني يا سيدي بل يسر رئيس دير اليعقوبيين ان يعلم اني تشرفت سحالستك .

بدا الاهتمام على وجه مورفر ، وسأل الراهب ؟

- هل رئيس الدير ارسلك الي ٢٠٠

- لم يرسلني اليك مباشرة ٠٠ ولكني اكاد اموت من الظمأ فاسمح لى يا سيدي بان اشرب قدحا من الخمر ٠

وقد صب لنفسه كأسا دون ان ينتظر اذنا من مورفر ، وهو يقول : ــ اني اشرب نخبك ونخب الحزب المقدس ونخب موت الظالم • وارتعش مسورفر وادرك ان الراهب يحسل سرا ، وسأل بصوت خفيض :

هل جئت الى (بلوا) لهذا الغرض ؟
 ولم يكن الراهب بالتأكيد يعلم حقيقة المهمة التي ارسله رئيس الدير
 بها ، فغمز بعينه وشرب كأسا ثانيا .

فظن مورفر ان هذا الغمز دليل الايجاب ، ولم يكن هنالت ما يشغله طوال الاسبوع الفائت غير موت دي كيز ليقبض الحوالة ، ويغادر فرنسا ، وتولاه الاضطراب مخافة ان يستبق الدوق الحوادث ويقتل الملك فيخسر مورفر كل شيء ، فسأل الراهب ان يتبعه ، لان المكان لا يصلح لمثل هذا الحديث ، ففعل الراهب ، وذهبا معا الى فندق متواضع يسكن فيه مورفر حيث قدم للراهب عشاء شهيا لم يأكل مثله في حياته ، وبعد ان شرب الراهب عددا من كؤوس الخمرة اخبره بالرسالة التى وبعد ان شرب الراهب عددا من كؤوس الخمرة اخبره بالرسالة التى

يحملها الى الدوقة شقيقة دي كيز ، وسأله ان يذهب به لمقابلتها ليسلمها الرسالة يدا بيد كما امره رئيس الدير ان يفعل .

حاول مورفر ان يأخذ الرسالة منه ويذهب بها الى الدوفة ، لان الوقت ليل ومن الصعب مقابلة الراهب لها في مثل هذه الساعة .

وزاد يقول: ان الدوقة سوف تسافر غدا وقد لا تعود قبل شهر .

ولكن اراهب رفض تسليم الرسالة الاللدوقة نفسها ، فقال مورفر: ـ اذا كان الامر كذلك فلم يبق امامنا الا ان نذهب اليها ونوقظها من نومها .

_ هيا بنا ٠٠ اين تقيم الدوقة ؟

ـ في منزل قريب من قصر الملك . .

ولما وصلا الى اطراف القصر الذي يقيم فيه الملك ، وكانت الارض . مليئة بالحفر والماء ، سأل مورفر الراهب عن الرسالة فقال :

« انها في صدري » فطعنه بخنجره والقاه في احدى هذه الحفر ، بعد ان انتزع الرسالة منه ، وقرأ فيها ما يأتى :

« سیدتـی

« اتشرف بانخبار سموك الملكي ان الراهب قـــد سار في طريق بلـــوا متقلدا الخنجر الذي تعرفينه •

« فاذا سلم قالوا هذه المرة ايضا ٠٠ فلا شك ان الشيطان يحميه ٠

« ولست أعلم اذا كان الراهب سوف يجرأ على زيارتك ، فاذا لــم يفعل فعليك بالبحث عنه لتشديد عزيمته للاقدام على الامر الخطير .

« ولتعلمي يا سيدتي انه سافر مع فارس من اهل البسالة والاقـــدام واست اشك انه من رجال حزبنا ٠

« ورجائي يا سيدتي الدوقة ان يكون يوم الفوز قريباً ، وان لا تنسي

ان تذكريني بالخير عند اخيك العظيم ٠٠ وفي انتظار ذلك ادعو الله لـــه بالتوفيق والنجاح » ٠

ولم يوقع رَقيس الدير رسالته هذه ، مكتفيا باشارة صار الاتفاق الاتفاق عليها •

ولكن تلقيبه الدوقة باللقب الملكي ، كان يؤكد معرفت بالسر ومشاركته فيه .

وقال مورفر في نفسه :

ـ يجب ان اذهب بهذه الرسالة حالا الى الملكة كاترين ليتم القضاء على الدوق دى كيز سريعا ٠

واسرع الى القصر الملكي ، وطلب من رئيس الحرس مقابلة الملكة ، فظنه الضابط مجنونا ، ولم يعرفه ، لأن مورفر اخفى وجهه بوشاحه ، ولكن مورفر آكد لرئيس الحرس ان الامر خطير جدا ، وان الملكة ستكون مسرورة من استقباله ، فذهب رئيس الحرس الى غرفة الملكة ثم عاد يدعو مورفر لمقابلتها وهو يعتذر له ،

ولما مثل مورفر امام الملكة ناولها الرسالة وهو يقول:

_ من رئيس دير اليعقوبيين الى الدوقة دي مونتبانسيه .

قرأت الملكة الرسالة بسرعة ، ثم قالت :

يجب ان نستوثق من الرجل الذي حملها •

ــ لقد قضيت عليه يا سيدتي ، وهو الآن في حفرة ماء بالقرب مــن القصر .

فارتعشت كاترين وقالت في نفسها :

ب لن يدهشني ذلك ٠٠ وهو ممن تخرجوا من مدرستي ٠

وبعد ان صرفت مــورفر ، ذهبت الى الملــك فايقظته ، واطلعته على الرسالة وهي تقول :

ــ لقد سألتك مهلة ثلاثة ايام ، ولكن القدر حسل الي" البرهان بعــد ثلاث ساعات ، ولتعلم ان الوقت ثمين فاذا لم تقتل اعداءك قتلوك لا محالة.

دعا الملك النواب في اليوم التالي لجلسة كبرى ، والقى عليهم خطابا ندد فيه بالانقسام والتفرقة ، وتعهد لهم انه سيقضي على البدع واصحابها،

فهتف له الجميع ، وتناولوا بالبحث شؤون الدولة .

ولما انقضت الجلسة ، وخرج الملك الى قاعة الاستقبال احس بالرعشة تسري في جسمه ، حين كان يشاهد رجال دي كيز يضحكون ويتندرون ، كأنما هم واثقون من انفسهم ونجاحهم ، ولكنه كان يتمالك نفسه حين بشاهد امه هادئة مطمئنة ، وكانت قد اوصته ان يتقرب من الدوق دي كيز واسرته ، وان يمنتهم باحسن الوعود والمكافآت ٠٠ وان ينتظر الفرصة السانحة التي تمكنه من القضاء عليهم جميعا ٠

وكذلك جعل يفر"ق الرتب والوظائف على اهل دي كيز ورجال ، حتى لقد انخدع الدوق نفسه بهذه المظاهر ، وقال في نفسه :

ــ لقد اخذ يسلم لي نفسه مكتوف اليدين .

وبعد ان فرغ الملك من توزيع الرتب والوظائف الكبرى على رجـال دي كيز اشارت له امه اشارة سرية فالتفت الى الدوق دي كيز وقال له:

- انك نائب رئيس القصر الملكى اليس كذلك ؟
 - ــ نعم يا مولاي •

فقال الملك:

ــ اذاً لماذا لا تتمتع بامتيازات منصبك ، اني اريد سلاما تاما فــي مملكتي ، ومفاتيح القصر .. ولهــذا فستكون هذه المفاتيح عندك منذ هذه الليلة .

وصاح رجال الدوق فرحا واستحسانا ، وذهـــل رجال الملك لهـــذا التبدل المفاجىء .

وقد عادت هذه الحركة على الملك بفائدتين • • فان رجاله قرروا المزيد من المراقبة والحذر ، فيما انقسم رجال الدوق بين مصدق ومكذب لنوايا الملك واغراضه •

فلما كان الخامس من شهر كانون الاول سنة ١٥٨٨ ، امطرت السماء كثيرا ، فلزم الملك غرفته لتوعك اصابه من شدة البرد .

وكان الدوق دي. كيز قد زار القصر برفقة مائة من اعوانه كانــوا لا يفارقونه ، ثم عاد ادراجه حين علم بان الملك سيلزم غرفته ، كما غادر القصر رجال الملك فلم يبق فيه غير الحراس والجنود .

وكان الملك قد جلس امام الموقد مع امه ، حين دخل رجل قد ستر وجهه بوشاحه فعرفه الملك وامه ، ولم يلقيا بالا لهذه المبالعـــة في الخفاء والتستر .

قال لهما بصوت خفيض:

ـ لقد دنا الوقت ••

ارتعشت الملكة وسألته :

ـ متى يكون ذلك ؟

فقال الرجل:

ــ لا اعلم الوقت بالتدقيق • • ومتى عرفته اتيتكما بخبره •

ولم يكن هذا الرجــل غير (مورفر) وقــد صرفته الملكة بعد ذلــك ونصحته بمغادرة القصر من السلم الصغير كالعادة •

وقامت الملكة بعد ذهابه ففتحت بابا ، واشارت بيدها فاقبل على الغرفة خمسة عشر نبيلا ، بينهم كريلون قائد الحرس ، وكالابر ، والكونت دي لوان ، حتى اذا اخذوا اماكنهم حول الملك قال لهم جلالته بهدوء عصب :

ـ ان الدوق دي كيز يريد قتلي ايها السادة .

وذعر الجميع لهذه المفاجأة ، ومدوا ايديهم يتحسسون سيوفهم وخناجرهم ، وبعد ان هدأ روعهم ، سألهم الملك واحدا بعد الاخر رأيهم فيما يجب ان يفعله .

نصح كريلون بسحاكمة الدوق ٠٠ ليعرف خبر هذه الجريمة الجميع حتى اذا عوقب مرتكبها اطمأن الشعب الى ان القاتل قد نال جزاءه ٠

ولما شاهد (كــيرلون) ان الملك لم يرتج لرأيــه اعلن عن استعداده لمبارزة الدوق وقتله ، فاذا قتله الدوق تعرض له آخر من انصار الملــك حتى يقتل .

ولكن الملك لم يوافق على هذا الرأي ايضا ، وغادر كيرلون القاعة ، ف فسأل الملك (بيرون) رأيه ، فنصح بالمحاكمة ايضا فاعترضت كـــاترين ، وقالت :

ـ ان محاكمته تثير علينا اهل باريس ..

اما الكونت دي لوان فقد اعلن انه مع احترامه لاراء الاخرين لا يرى قاضيا اعدل من هذا • • وجرّد خنجره •

وقد وافق الباقون من رجال الملك على هذا الرأي ، وهو الرأي الذي كانت تراه كاترين ايضا ، وصرخوا بصوت واحد :

- ليمت الخائن •

اشارت اليهم كاترين ليقتربوا منها ، واخذت تتحــدث اليهم بصوت منخفض ، فقالت :

اين يجب ان يكون القتل ؟ وارى انه لا يجب ان يقع في منزل الدوق ولا في الشارع وانما هنا وفي هذا المكان ٥٠ في قصر الملك نفسه ٠ واما الامر الثاني: فهو متى يجب ان يتم القتل ، وهو ما سنعرفه غدا واما الامر الثالث ، فهو كيف يكون القتل ، وهو ما سأتحدث بهاليكم ،

-4-

مقتل ألدوق دي كيز

وقف بارداليان في هذه الليلة التي تم فيها الاتفاق على قتل الدوق دي كيز ، بين رجال الملك ، امام مائدة حوت شرابا وطعاما فاخرا ، في فندق فريب من القصر الملكي ، ينتظر ضيفه .

وكان بارداليان قد التقى منذ ساعات بكريلون قائد حرس الملك، بعد ان غادر الاجتماع في القصر ، واعلن معارضته لقتــل الدوق دي كيز ، مفضلا تقديمه للمحاكمة ، وصدور الحكم عليه .

وفيما هو في الطريق بعد خروجه من القصر التقى ببارداليان ، فعرفه وسر بلقياه ، وسأله عما يريده ، فطلب منه بارداليان ان يقدمه للملك .

فوعده كريلون ان يفعل ، واخبره ان الملك يعرفه ويقدره وان كريلون قد تحدث عنه كثيرا امامه ، وذكر اجلالته كيف ساعده على معادرة باريس للحاق به ، رغم معارضة الدوق دي كيز .

وشكر بارداليان صديقه كريلون كثيرا ، وطلب منه قبول دعوت ، وتناول الطعام على مائدته ، في الفندق القريب من القصر .

ووافق كريلون على الدعوة ، ووعده بزيارته في الفندق مساء ، ولهذا رأينا بارداليان ينتظر ضيفه في اول هذا الفصل ويتأمل المائدة النبي اعدها له صاحب الفندق بشيء كثير من الاهتمام ليتأكد من انها سوف ترضى صديقه وتسره .

فلما اقبل كريلون اخيرا وشاهد المائدة ، هتف قائلا :

- اراك ايها الصديق تعاملني معاملة الامراء .

فضحك مارداليان وقال:

ـ انت في نظري اعظم وانبل من اي امير .

ومضى الصديقان يأكلان ويشربان • • ثم قال بارداليان لصديقه فجأة:

ـ اتعلم ايها الصديق انهم يريدون قتل الملك ؟

فأجفل كريلون لسماعه هذا الخبر ، يصدر من بارداليان ، وسأل كيف عرفه ، فاخبره انه حضر بعض اجتماعات المتآمرين .

سأله عن اسماء المتآمرين ، فقال:

ـ حسبك ان تعلم ان كبيرهم هو الدوق دي كيز .

« ويجب ان تعلم يا صديقي اني لا اريد مقابلة الملك كما اخبرتك في الطريق منذ ساعات ، وانما اريد منع حدوث هذه المؤامرة • لاني لست من الجواسيس لانقل الى الملك اخبار المتآمرين ، فهذا شأن رجاله والمكلفين بحمايته • • وكل ما اريده منك هو ان تدخلني الى القصر ليس لمقابلة الملك، فهذا امر لا يهمنى ، وانما لاكون قريبا منه واحميه » •

جمد كريلون في مكانه ليقول بعد لحظات:

_ اتعلم انك تكلفني قضاء مهمة خطيرة جدا ؟

_ بالتأكيد •

_ اتعلم ايضا اني لا اعرف منك الا القليل ؟

ـ هذا صحيح من ولكني انا اعرفك حق المعرفة ، فقل ما يوني انا

تقوله ، ولا تخشى الاساءة الي" •

فقال كريلون:

ـ لو كنت انت الذي يريد قتل الملك لكان هذا سبيلك للوصول اليه. فقال بارداليان :

ـ نعم فان كل الظواهر تدل على ذلك .

فأشرق وجه كريلون حين ابصر هدوء بارداليان لشكوكه وقال له :

_ ولكني اثق بك رغم كل ذلك ، فقد عرفتك باسلا شجاعا ، وقـــد سمعت منك كل ما يسر ويرضي •

_ ولهذا اريد منك ان تساعدني على دخول القصر سرا ، وان اكون في مكان لا يمكن للقاتل ان يصل منه الا اذا لقيني في طريقه .

فقال كريلون :

ـ اتعهد لك بذلك ٠٠ ولكن كيف السبيل الى معرفة اليوم الـذي سيتم فيه القتل ؟

ـ سوف ارسل اليك من يخبرك به ٠

_ اذن اتفقنا •

ومضى الصديقان يشربان ويتندران ، ثم افترقا بعد ان ودع احدهما الاخر وداعا حارا .

وكان بارداليان قد فعل ذلك ، وطلب هذا الطلب من كريلون بعد ان عرف من (جاك كليمانت) ان رئيس الدير قد ارسل راهبا خلفهما، يحمل رسالة خاصة ، وان هذا الراهب قد قتل .

ولما ذهب جاله بعد وصوله الى (بلوا) لزيارة الدوقة شقيقة الدوق دي كيز ، التي كانت تحرضه دائما على قتل الملك ، استقبلته استقبالا فاترا ، فادرك انهم قد كلفوا غيره بقتل الملك ، فكان ان قرر بارداليان

التدخل لوقف هذه الجريمة ، ورد كيد الدوق دي كيز ورجاله السي نحورهم •

* * *

كان القصر يعج بالزائرين كما بدا من الخارج •• تلالأت انــواره ، وبانت الحركة حول كل نافذة وباب ، من نوافذه وابوابه •

وكانت الساعـة العاشرة لما اقبـل شخص نحـو القصر يمشي مشية الخائف ، وقد جرّد خنجره بيده وستر وجهه بوشاحه .

وكان هذا الرجل مورفر ، وقد بلغ من خوفه ووهمه انه كـان يظن بارداليان خلفه ، او قدامه ، او ينتظره في ركن من اركـان الشارع ، او خلف باب من ابواب منازله .

لقد سمع الراهب رسول رئيس الدير • و يحدثه عن (جاك كليمانت) ، الذي غادر الدير برفقة فارس باسل ، عريض المنكبين ، فخشي ان يكون هذا الفارس هو بارداليان ، وراح يبحث عنه في كل فنادق المدينة ، دون ان يقع على اثر له •

ولكن خوفه منه كان فوق الطاقة والامكان ، ولهذا كان ابدا لا يسبر الا وهو حذر مترقب ، لا يأمن على نفسه فى طريق او فندق .

ولما وصل الى حيث وقف حراس القصر ، اعطاهم كلمة السر ، فلما وصل الى الحراس الآخرين ، القى اليهم بكلمة سر اخرى .

ووصل اخيرا الى القصر ، ولم يعد امامه من يعترضه ، فسار توا الى القاعة التي كان يعقد فيها الاجتماع ، واختبأ وراء احد ابوابها ، يستمسع الى الحديث الذي كان يدور في الداخل .

وكان المجتمعون في هذه الجلسة السرية ، الدوق دي كيز وافراد اسرته ، كأخويه الدوق دي مايان ، والكردينال دي لورين ، واخته الدوقة دى مو نتبانسيه ، والكردينال دي بوربون .

وكانوا قد انتهوا من حديثهم لما وصل مورفر ، وغادروا القاعة ، فلم يبق فيها غير الدوق دي كيز ، وشقيقته ماري .

وعندئذ فتحت (ماري) بابا يشرف على ردهة كان يجلس فيها نفر من رجال الدوق ، ودعتهم للدخول ، فدخل بيسي لكلرك ومنفيل ، وغيرهما من الرجال الذين كان يعتمد عليهم الدوق في شؤونه الخطيرة .

وبعد ان القي الدوق تظرة عليهم قال :

_ لقد اكتمل عددنا •

فقال منفيل:

ے کلا یا مولای فلا یزال ینقصنا مورفر •

فقالت الدوقة:

ــ اني لم ادعه الى اجتماعنا هذا ٥٠ فقد اصبحت اشك فيه ، وعليكم بمراقبتــه ٠

فقطب (منفيل) حاجبيه ، ولم يكن هذا لاشفاقه على صديقه مسن هذه التهمة الخطيرة ، وانما لانه افضى له بكلمة السر عند اجتماعه بـــه ، ولكنه لزم الصمت ولم يقل شيئا .

وبدأ الدوق الحديث بما ورد له من انباء عن القصر تؤكد ان الملك اخــذ يشك به رغم القسم الذي قطعــه على نفسه •• فما رأيكم ايهــا السادة ؟

فقال احد المجتمعين:

ـ لقد سمعت احد المقربين للملك وهو صديق حميم لي ، يقول لي :

ــ قل لمولاك ان يعود الى باريس ، فان هذا البلد لا يوافقه في ايـــام عيد الميلاد • • ومعنى هــــذا ان القصر يشك بك كما تقول ، ومـــن الخير تأجيل ضربتنا الى فرصة اخرى •

ولكن الدوق رفض هذا الرأي ، واخبر المجتمعين انه اذا كان الملك بشك فيه ، فهو على كل حال لن يقدم على قتله ، وانه تقرر ان يكون اليوم الثالث والعشرين موعد العمل ، وان يقتل الملك في الساعة العاشرة ما هذا اليوم .

ومضى الدوق يقول:

- وسيتولى كل واحد منكم قيادة فرقة من النبلاء تعطى له اسماء رجالها ، ومن حق كل منكم ان يرفض من هذه الاسماء من يشاء رفضه ممن لا يثق به ، وليكن الجميع متأهبين في الساعة الثانية من مساء الثالث والعشرين من شهر كانون الاول في الاماكن التي سنعينها لكل فرقة .

وسيبدأ الهجوم من ثلاثة مواضع ، ويتولى قيادة الهجمات انا وشقيقي ، وقد اوحى الينا الملك بهذه الخطة الجديدة عندما اعطانا مفاتيح القصر •

ولما وصل الدوق في حديثه الى هذا الحد قرر (مورفر) مفادرة القصر بعد ان حصل على ما يريده من المعلومات ، واسرع الى غرفت دون ان يفطن احد في الفندق لوصوله ، وخلع ثيابه ، وتظاهر بالنوم العميق .

ولما انتهت الجلسة غادر منفيل القصر مسرعا ليتأكد من وجود (مورفر) في الفندق ، فلما وصل الى غرفته وشاهده نائما ، قال في نفسه :

, ــ لقد اساءوا الظن بصديقي • • فما هو من اهل الخيانة ، وما الذي سوف يكسبه من خيانة الدوق ، الذي وعده بمركز عظيم عند لجاح الانقلاب •

« ولم يبق علي " بعد هذا الا ان احذره مما يبيت لــه حتى لا يصاب يسوء » .

وايقظ منفيل ، صديقه من نومه ، وسأله عن السبب في عدم حضوره الاجتماع في قصر الدوق الذي انبأه بخبره ، فاجابه : لسبب بسيط وهو انهم لم يدعوني اليه ٠٠ وسيسأل عني الدوق كثيرا في المستقبل ، اذا كان قد سأل عني في هذا الاجتماع ٠

وايقن منفيل ان صديقه مقضى عليه بالموت ، ما دام الدوق وجماعته قد اخذوا يشكون به ، فنصحه بمغادرة المدينة ، واخبره ان الجماعة يتهمونه ، وانه يحسن به الهرب من وجههم ريثما تهدأ العاصفة .

سأله مورفر:

ـ متى تريد ان اغادر المدينة ؟

_ في هذه الليلة •

ــ وكيف اسافر ولا مال لدي ، وقد وعدني الدوق بمبلغ من المال لم يدفعه الى" منذ خمسة اشهر .

عرض منفيل على صديقه ان يشاركه في المبلغ الذي يملكه ، وهــو عبارة عن مائتي دينار ٠٠ يمكنه من الهرب من وجه اعدائه ٠

فوافق (مورفر) بعد تردد ، ولكن منفيل كان حاسما في حديثه، وقد اخبره انهم اذا صدروا اليه بالامر بقتله ، فسيضطر ان يفعل رغم صداقته له ، فقرر مورفر عندئذ ان يعمل بنصيحته ، وارتدى ثيابه ، واعطاه منفيل كلمة السر التي تمكنه من الخروج من (بلوا) ، وغادر الفندق لا يلوي على شيء ، بعد ان ركب جواده ، ولكنه لم يتوجه الى باب المدينة ، بسل الى القصر الملكي حيث طلب مقابلة الملكة ، فلما مثل امامها ، قال لها :

ــ لقد عرفت الان يا سيدتي اليوم •• والساعة التي قرر فيهما الدوق

قتل الملك •

فارتعشت الملكة وقالت له:

- قص على " تفاصيل المؤامرة .

فقال مورفر:

- ارجو من جلالتك اولا ان تأمري بان يخرج فارس من باب المدينة.

_ لمادا ؟

- لانهم يحسبون اني غادرت البلد في هذه الساعة على جوادي ، فاذا سألوا غدا حراس الباب ، واكدوا الهم خروج فارس في الليل اطمــأنوا وهدأ روعهم •

فنادت الملكة عندئذ رئيس حراسها وامرته ان يرسل فارسا الى البرج الواقع خارج المدينة ليتأكد من عدم وجود بعض الهيكونوت فيه •

وبعد ان خرج رئيس الحرس ، قص عليها مورفر ما سمعه ، وطلب منها ان تسمح له بالاقامة في القصر لانه يستحيل عليه بعد اليوم الظهور في المدينة فارسلت خلف الفلكي ريجياري وامرته ان يجهز لمورفر غرفة في شقته ، التي لا يحاول الوصول اليها احد لخوفهم من سحره وشعوذاته ،

وذهب ريجياري بمورفر الى غرفة حسنة الريساش ، واخبره انهسم سيأتونه بطعامه اليها ، ونصحه بفتح النافذة اذا ضجر من الوحدة فيشاهد الارض والنهر والغابات منها ٠٠٠ وحذره من ان يراه احد .

$\star\star\star$

فلما اقبل الفلكي في صباح اليوم التالي لزيارة الملكة وتلقي اوامرها، التقى كيرلون رئيس حراس الملك ، فطلب منه هذا خدمة صغيرة مقابل

الخدمات العديدة التي قدمها له ، فاجابه الفلكي :

_ انا على استعداد للقيام باية خدمة تريدها مني •

فقال كيرلون:

ـ اني مضطر لاسباب خاصة بخدمة الملك ان اخبي، في هذا القصر قريبا لي ٠٠ ولما كنت اعلم انك تعيش في عزلة عن الجميع فلا يدنو احد من غرفك ، فقد قررت اخفاء هذا النسيب عندك ٠

فقال الفلكي في نفسه:

ــ اني ساضّع نسيب هذا الصديق الباسل في غرفة قريبة من غرفة (مورفر) فيكون عندي ضيفان بدلا من ضيف واحد •

واتف ق الصديقان على الاثر ان يأتسي كيرلون بنسيبه في الساعمة السادسة من مساء اليوم نفسه •

وجاء بارداليان في الوقت المعين حيث استقبله كيرلون واخذه السى شقة الفلكي دون ان يراهما احد ٥٠ وكانت تقـع في الدور الثاني مـن القصر ٠

ولما وصل الاثنان الى غرفة الفلكي ، عر"فه كيرلون على بارداليان ، وقدمه له كأنه نسيبه ، ومن الغريب ان الفلكي لم يعرف بارداليان الدي سجنه في الباستيل منذ ستة عشر عاما ، واراد قتله بالآلة الهاصرة ، كما وصفنا ذلك في كتاب سابق ، فرحب به الفلكي ، واخذه الى غرفة خالية لها ثلاثة ابواب وقال له :

ــ ان باب هذه الغرفة يشرف على غرفتي ، وبابها الثاني يشرف على الرواق ، وبابها الثالث يؤدي الى غرفة اخرى ، فلا تكثر من الحركة لانــه يوجد بجوارك رجل آخر يريد الاختفاء مثلك .

لما تركه وشأنه ، واقفل الباب عليه قال بارداليان في نفسه :

من يكون هذا الرجل الذي يريد الاختباء في القصر مثلي ٩٠
 ولكنه لم يفطن بالتآكيد ، ولم يخطر على باله أن يكون هذا الرجلل (مورفر) ٠

رأت فوستا ان تتقرب الى البابا في هذه الفترة من الزمن ، وذلك قبل اليوم المعين لقتل ملك فرنسا ، فارسلت له رسولا ومعه كتاب منها ، تعلن فيه استعدادها لعدم العودة الى روما ، والتوقف عن معاداة البابا ، شرط ان يصدر الحبر الاقدس امرا بطلاق كاترين دي كليف زوجة الدوق دي كيز منه ، فوافق البابا على ذلك بعد ان درس الموقف ، وعاد رسول فوستا اليها بقرار الطلاق ، فدعت عندئذ الدوق دي كيز لمقابلتها في الواحد والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٥٨ ، واخبرت انها تريد منه الزواج بها حالا ، فلما اعترض بوجود زوجته ارته امر البابا بالطلق ، وطلبت منه التوقيع عليه فوافق بعد تردد ، خصوصا بعد ان هددته بانه ان تردد ولم يفعل كشفت امره للملك وارسلته الى المشنقة ه

وبعد ان وقع الدوق امضاءه على صك الطلاق صاغرا ، فتحت فوستا باب القاعة الكبرى فظهر للدوق ما ادهشه اذ رأس هيكلا اقيم في وسط تلك القاعة ، ورأى الكردينال دي بوربون بالملابس الكهنوتية، والكردينال دي لورين ، والدوق مايان ، والدوقة دي نيمور والدوقة شقيقة دي كيز، وهم جالسون على كراسيهم ينتظرون هذه الحفلة التي كانوا يتوقعون ان تكون ،

والتفتت فوستا عندئذ الى الدوق دي كيز وقالت له :

- قدم ذراعك لخطيبتك وسر بها الى الهيكل • فتنهد الدوق وامسك بذراعها ، ولو استطاع لقتلها ومشى بها الى الهيكل •

ولما اصبحا امام الهيكل رفعت فوستا الامر القاضي بطلاق الدوق من زوجته الى الكردينال دي بوربون وهي تقول في نفسها :

- لقد اصبحت الان ملكة فرنسا ، وقبضت على زمام الامر فيها •

اجتمعت الملكة الى والدها الملك هنري الثالث في غرفته التي كان لهـــا باب يشرف على الردهة الخاصة بالانتظار •

وكان لهذه الردهة ثلاثة ابواب ، احدها يشرف على القاعة والشاني على الغرفة التي ينام فيها الملك ، والثالث القائم السى اليسار على رواق داخلي ، ثم على سلم يؤدي الى قاعات الملكة .

وكان من عادة دي كيز ان يزور الملك كــل يوم فيدع حراسه عنــد السلم ويصعد الى الردهة فيسأل من فيها عن الملك فيخبروه اذا كــان في غرفته الخاصة ام في غرفة نومه ، فيدخل اليه .

وكانت الملكة وولدها يتحدثان في صباح هذا اليوم المعين لقتل الملك كما قدمنا عن الاستعدادات التي اعدتها كاترين لدرء هذا الخطر والقضاء على الدوق • • بعد ان اصدر الملك امره الى رجاله بان يفعلوا ما تأمرهم به وقد قامت الملكة بعد ان تحدثت إلى ولدها ففتحت بابا كإن يقف وراءه ثلاثون نبيلا من رجال الملك ، فاختارت عشرة من هؤلاء النبلاء وقالت لهم:

ـ تنحصر مهمتكم في الوقوف عند باب غرفة الملك والخناجر فسي

ايديكم ، واياكم ان تبرحوا مكانكم هذا مهما سمعتم من الاصوات في الغرفة المجاورة ، واذا حاول احدهم الدخول الى غرفة الملك ، وادركتــم انه من الخصوم فلا تدعوه يصل اليه الا على جثثكم .

ثم عادت واختارت عشرة اخرين قالت لهم :

ــ انتم تبقون في القاعة الكبرى ، فاذا علمتهم بدخوله الى الردهــة فاقفلوا الباب ، وقفوا خلفه وسيوفكم في ايديكم فاذا حاول احد الوصول الى غرفة الملك فموتوا قبل ان يصلوا اليه .

وبعد ان اقسموا ان يفعلوا ، دنت الملكة من ثلاثة من النبلاء وهــم كــالابر ، وسانت مالين ، ومونتساري ، الــذين انقذهم بارداليان مــن الباستيل فقالت لهم :

ــ ادخلوا انتم الى القاعة وانتظروني ••

ثم التفتت الى السبعة الباقين وقالت لهم:

_ واما انتم فاصغوا الي" • ان الدوق سيدخل الى هذا المكان، فلا يجد الملك في القاعة ، فيسألكم عنه ، فتقولون انه في غرفته الخاصة ، فيذهب اليها وتقفون في مكانكم ، فاذا استغاثوا بكم وطلب زملاؤكم النجدة اسرعتم اليهم ، وان لم يفعلوا فلا تبرحوا مكانكم ، واذا هوجم الذين في القاعة فاقفلوا هذا الباب ، وموتوا في مكانكم قبل ان تمكنوا الحدا من الوصول الى غرقة الملك •

واخيرا ذهبت الملكة الى القاعة الكبرى حيث كان بانتظارها فيها الرجال الثلاثة الذين انقذهم بارداليان من الباستيل ، وقالت لهم :

- لقد اخترتكم لقتل الرجل الذي اراد قتلكم ، فاعلموا اذا أن الدوق سيحضر للقصر ، وسيمر بالقاعة وهي مخفورة ، وبالردهة وهي مخفورة ، وبغرفة الملك وهي كذلك ، فلا بد اذن ان يصل اليكم اخيرا ، فلا تدعوه يخرج من هنا حيا .

وما كادت الملكة تفادرهم الى غرفتها ، حتى نقلوا الطاولة التي كانت في وسط القاعة الى زاوية فيها ، ووضعوا الكراسي بقربها ، حتى لا يتعثر احدهم بها وهو يقاتل الدوق .

وقال احدهم اخيرا :

- لقد نسينا باب السلم المؤدي الى الطابق الاعلى ، والطابق الاسفـــل من القصر .

فقال له الثاني:

ــ اذهب واقفله •

فذهب كالابر لاقفال الباب ، ولكنه قبل ان يصل اليه دخل منه رجل وقال لهم :

- سلام عليكم ايها السادة ، كيف حالكم بعد خروجكم من الباستيل؟ وذهل الثلاثة وصلحوا بصوت :

بارداليان ٠

سأله احدهم ان يذهب ٠٠ لان الموقف خطير ، ولا يستطيعون استقباله في هذه اللحظة .

فقال بارداليان:

. - بل تشجعوا أيها الاصدقاء فان الدوق لا يزال بعيدا .

واسقط في يد الاصدقاء الثلاثة حين ادركوا انه يعرف ما هم في سبيله • • ووضعوا ايديهم على خناجرهم ، فقال لهم بارداليان باسما :

- اعيدوا خناجركم الى اماكنها ، فاني قد استطيع قتلكم فلا تتمكنون والحالة هذه من قتل الدوق • واذا الله المكن من قتلكم تمكنت من الوصول الى النافذة وانذار رجال الدوق بالخطر ، فيفشل مشروعكم • • ثم ان صديقي الراهب الذي كلفكم الملك بقتله ولم تقتلوه ، مستعد لانذار

الدوق اذا تأخرت عن الاشارة اليه ٥٠ فليهدا روعكم والحالة هذه ٠ واصفرت وجوه الفرسان الثلاثة ٥٠ لقد اقسموا للملك والملكة انهم قتلوا الراهب جاك كليمانت ، فاذا علم الملك بكذبهم فان مصيرهم الاعدام بالتآكيد ٠

قال كالابر بعد ان تمالك روعه :

_ ما الذي تريده ؟

انكم كما تعلمون لا تزالون مدينين لي بحياة رجل واحد وقد جئت اسألكم وفاء هذا الدين ٥٠ ولهذا اريد منكم حياة الدوق دي كيز ٠ وكانت ساعة هائلة اخذ الثلاثة فيها يعضون ايديهم من شدة اليأس ٠

وقال كالابر لرفيقه:

ــ اذا قتلنا الدوق بعد ان طلب بارداليان منا ان لا نفعل خسرناشرفنا، واذا لم نقتله قتلنا الملك ، فاغمد خنجرك في صدري فهذا خير لنا من هذه الحياة .

فقال بارداليان:

ــ لنتفق اذن على نسوية لهذه القضية .

برقت عيون الثلاثة املا ، وقالوا :

- تكليم ٠

ــ هبوني حياة الدوق لعشرة دقائق فقط ، لاني اريد ان اقول لهـــذا الرجل كلمة قبل ان تقتلوه •• ثم اتركه لكم •• ان الدوق سيدخل الـــى

هذه الغرفة اليس كذلك ؟

فاجابوا بالايجاب •

ـ واذا دخل لم يعد يستطيع الخروج .

فقال احدهم:

- انه يستطيع الخروج من السلم .
- ــ اذهبوا احراسة السلم • واتركوه لي لمدة عشرة دقائق فقط •

وسمعموا في هذه اللحظة وقع حوافر الجياد ، وصليل السيوف ، فادركوا ان الدوق قد وصل .

فقال احدهم لبارداليان:

- ـ اتقول عشر دقائق •
- ـ نعم • وهي قد تنقص ولكنها لن تزيد •

فلم يسع الثلاثة الا الامتثال وغادروا القاعة الى باب السلم لحراسته وبعد قليل دخل الدوق الى الغرفة ، فلم يشاهد بارداليان الا بعد ان اصبح في داخلها واقفل الباب خلفه ٥٠ فظن الدوق عند دخوله ان الملك غير موجود في الغرفة ، وشاهد بارداليان ، يبتسم في وجهه ، فاصفر من الخوف وحاول العودة من حيث اتى ، فاذا الباب مقفل ، فادرك انه اسير ١٠٠ فالتفت لبارداليان وقال :

ــ من انت • • وماذا تفعل هنا ؟

ـ انا الذي صفعك منذ ستة عشر عاما في قصر الاميرال كوليني • • وانا الذي لقبك بالمصفوع في ساحة الاعتصاب منذ ثمانية اشهر ، وانا الذي سلمت نفسي اليك في فندق دفينير لانقاذ امرأة منكودة فدعوتني جبانا ، فقلت لك • • سوف ارد هذه الكلمة الى صدرك برأس السيف • • هنري دي كيز • • تسألني ماذا اريد ، فاقول لك • • اني اريد دمك لاغسل هذه الاهانة •



صاح الدوق يقول :

_ هلموا ايها الجنود ٥٠ واقبضوا على هذا المجنون ٠

وحاول ان يفتح الباب فسمع اصواتا من الخارج تقول :

ــ تشجعوا •• واقتلوه •

فامتقع وجهه وادرك انه سقط في كمين .

وقال بارداليان :

ــ لم يبق امامك الا ان تقتلني ، ثم تقتل ثلاثة آخرين بانتظارك لتخرج من هذا المكان حيا ٠

امتشق الدوق حسامه عندئذ ، وهجم على بارداليان .

ونشب بين الرجلين قتال هائل ، وبعد قليل افلت سيف الدوق من يده، وهوى صريعا الى الارض ، بعد أن اخترق حسام خصمه صدره ، ونفـــذ الى ظهره •

واعاد بارداليان سيفه الى غمده وهو يقول:

ـ لقد غير "ت بسيفي هذا تاريخ فرنسا .

ثم مضى الى الثلاثة الواقفين خلف الباب المؤدي الى السلم وقال لهم:

ـــ لم تنقض الدقائق العشر •• ومع هذا فقد تخليت لكم عن الدوق فعو دوا الله •

وتركهم وصعد السلم الى غرفته عند الفلكي •• واسرع الثلاثة السى القاعة فذهلوا حين شاهدوا الدوق ميتا •• اذ لم يكن يخطر ببالهـم ان يتمكن منه بارداليان بهذه السرعة •

ورفع الدوق عينيه في هذه اللحظة •• وادرك الثلاثة عندئذ انه لــم يزل فيه رمق من الحياة ، فاسرعوا يجهزون عليه •

ثم فتــح الباب ودخل من كانوا في الخارج واشتركــوا في ضربــه بخناجرهم وسيوفهم • وغادر الملك غرفته الى القاعة ، ثم وضع رجله على رأس الدوق وقال : ــ لقد اصبحت وحدي الان ملك فرنسا • • وكان الدوق قد وضع قدمه منذ سنوات مضت على رأس الاميرال كوليني • • بعد ان قتل غدرا •

وكان لخبر مقتل الدوق دوي عظيم بين اصحابه ، فاخذوا يهربون لا يلوون على شيء • • وارسل الملك بعض جنوده للقبض على الحوي الدوق، وكبار انصاره •

ولقد ذهب بارداليان بعد ان قضى على دي كيز الى غرفته ، حيث كان قد تمكن من مورفر جاره في الغرفة المجاورة واوثقه ، وكم فمه حتى لا يستطيع صراخا .

وبعد ان نزع الكمامة عن فمه والقيود من يديه ورجليــه ، امره ان يتقدمه ، لانهما سيغادران القصر ، وانذره ان حاول الهرب بالموت حالا .

ولما وصلا الى الباب الكبير •• تصدى لهما الجنود ، ولكن كيرلون كان هناك ، فقال له بارداليان :

ـ نريد مفادرة القصر يا مسيو دى كيرلون ٠

فنظر اليه رئيس حرس الملك نظرة اعجاب واكبار ، وقد علم انه هو الذي قتل دي كيز في قتال شريف بالسيف ، فرفع قبعتــه احتراما ، وامر الجنود ان يحيوه التحية العسكرية .

وبعد أن أصبحا خارج القصر ، أنضم اليهما جاك كليمانت حيث خرجوا جميعا من باب المدينة .

وبعد ان ساروا مدة من الوقت ، وقفوا امام كوخ مهجور ادخول بارداليان مورفر اليه ، وبعد ان اوثقه وقيده ، طلب من جاك حراست. ريشا يعود اليه •

نهاية مورفر

كانت (فوستا) قد استعدت للانقلاب الجديد ، فارسلت رسالة منذ صباح اليوم الذي قتل فيه الدوق دي كيز الى الكسندر فرنيز تستعجله بالاسراع الى باريس ، لانها كانت تعتقد ان رسالتها الاولى قد وصلت اليه ، وانه قد دخل الاراضي الفرنسية ، ولو علمت ان بارداليان قد تمكن من هذه الرسالة ، لبدلت موقفها ٠٠ ولفكرت كثيرا .

وكانت قد قررت ان تعود الى باريس بعد مقتل الملك ، لتحتفل بزواجها على الدوق في كنيسة نوتردام ، وتضع تاج فرنسا على رأسها .

وفجأة سمعت اصواتا في الشارع ، ثم وقع حوافر الجياد وهي تجري بفرسانها لا تلوي على شيء .

دب الرعب الى قلبها ، وارادت ان تسأل احد خدمها ، ولكن الكلام احتبس في لسانها ، فقد خشيت ان تعلم بانهيار احلامها ، وفشل محاولة قتل الملك .

واقبل اليها احد خدمها يقول:

ــ ان بالباب رجلا من النبلاء يريد مقابلتها • • وانه رفض ان يــذكر . اسمــه •

واقبل الرجل ، فجمدت فوستا في مكانها ، وقد تولاها رعب شديد . ذلك ان هذا الرجل لم يكن غير بارداليان • • وهي التي كانت تحسبه في عداد الاموات •

رفع بارداليان قبعته وتقدم اليها يقول:

ــ اتشرف يا سيدتي باخبارك اني قتلت الدوق دي كيز ٠٠ واقــد انذرتك سابقا اني لن اسمح له بالوصول الى العرش ، كما اخبرتــك اني سأقف ابدا في وجه مظامعك واحلامك ٠

صاحت تقول:

ـ باردالیان ۵۰ باردالیان ۵۰

ولم يكن باستطاعتها ان تقول غير هذه الكلمة •

وقال بارداليان:

ـ انا هـو بلحمه ودمه ٠٠ لقـد تكلفت كثيرا من السبل الدنيئة للوصول الى اغراضك ، حتى لقد امرت بقتـل فتاة بريئة في الدير كما تعلمين ٠٠ ولهذا رأيت ان لا بد من سحقك بعد ان كنت قد انقذتـك من الموت ٠

وكانت فوستا قد تمالكت نفسها في هذه الساعة ، فمضت تشتسه وتتهمه بالسفك والجبن ، وامسكت سكينا بيدها وهجمت عليه ، فضحك وقال :

ــ اضربي اذا كنت تجسرين •

وارتجفت يدها ، والقت الخنجر من يدها ، وارتمت على مقعد قريب وهي تبكي ٠

فتقدم منها بارداليان وقال:

ــ لقد جئت لانقاذك ، فقد سمعت وانا في القصر ، وحين كان الجنود يقضون على رجال دي كيز واعوانه ، سمعت الكردينال دي كيز يقول : « ان الخيانة هي من فوستا » • ولا بد ان يأتي رجال الملك للقبض

« أن الحيانه هي من فوستاً » • ولا بد أن يأتي رجال الملك للقبض عليك فاهربي •

واشتد الوجد بفوستا ٠٠ لقد كانت تحب بارداليان حبا ملك عليها كل عواطفها ، وهي انما ارادت قتله لتقضي على هذا الحب ٠٠ ولو بادلها حبا بحب ، لتخلت عن العرش والسلطان واستسلمت له ٠٠ ورضيت به ٠٠ ولكنه رفض فكان ما كان ٠

وتحركت من مكانها •• وسسعت في هذه اللحظة قرعا على الباب •• وصوت رئيس حراس الملك يقول لرجاله :

ــ ليفتش هذا المنزل وليقبض على كل من فيه رجالا ونساء ... وقالت فوستا وقد امسكت بساعد بارداليان .

ـ انى اريد الحياة •

ـــ لا تخافي ، فلن يقترب منك احد وانا معك ٠٠ ايوجد جيــاد في المنزل ؟

ـ نعم يوجد اربعة جياد ٠

ــ اذا هلمي بنا والتصقي بي ولا تفارقيني .

وتقدم بارداليان الى السلم يدفع حراس الملك واحدا بعد الاخر، ويلقي عليهم بالكراسي والتحف، فمن وقف في سبيله قتله او جرحه، ومن تركه وشأنه امن العاقبة ٠٠ حتى وصل هو وفوستا الى الاسطبل وركبا جوادين وانطلقا في طريق باريس ٠

ولما علم كريلـون بما حصل ، وعرف ان بارداليان هو الـذي هاجم حراس الملك وهزمهم ، ضحك وقال : ــ لقد كنت اتوقع ان يكون هو الفاعل ، بعد ان علمت بتقــاصيل الحادثة .

وسمع القصة منفيل وبيسي لكلرك وكانا بين الاسرى فعرضا عـــلى كريلون ان يتبعا بارداليان ويقتلانه لحقدهما عليه ، ثم يعودان الىالسجن.

فقال لهما كريلون ٥٠ بعد ان وافق رئيس حراس الملك على طلبهما:

ـــ اذهبا ٥٠ وحاولا ان تغوزا عليه ٠

ثم التفت الى رئيس الحراس يقول له :

ــ لا بد انه اساء اليك لتوافق على طلبهما ؟

ـ انه كسر ساقى ٥٠ ولكن هذين الرجلين سينتقمان لي منه ٠

فقال كرياــون:

۔ اترید ان تعرف مصیرهما ؟

۔ نعبم ہ

ب انهما لن يعودا .

ب لقد اقسما لي بشرفهما على العودة .

ـ لست اقـول انهما سيحنثان بقسمهما • ولكنهما اذا التقيا ببارداليان فلن يعودا لائه سيقتلهما • واما اذا لم يلتقيا به فسيعـودان بالتآكيـد •

فقال رئيس الحراس:

بیدو آن هذا الرجل خطر کبیر •

ــ لقد رأيت من امره معك ومع جنودك ما لا تحتاج معه الى المزيـــد مني • • ولكن ما الذي تريد ان تفعله به اذا قبضت عليه ؟

ب سوف اشنقه على قارعة الطريق •

- اتحسب ان شنق امير الجيش سهل عليك ؟

فدهش رئيس الحراس وقال:

- وهل بارداليان امير الجيش؟

- نعم •• انت تبحث عنه لتشنقه ، والملك يبحث عنه ليعينه في هـــذا المنصب •• لانه انقذ الملك من الموت ، وقتل الدوق دي كيز •

واغمي عملى (لارشان) رئيس الحرس مسن همول البخبر • • فأمر كريلون بنقله الى القصر •

عرضت فوستا على بارداليان ان تتزوجه ، بعد الفشل الذي منيت في اثناء الطريق ، وقالت معتذرة عما اقدمت عليه سابقا ، من انها فعلت ما فعلت في سبيل المجد والسلطان ...

واكن بارداليان جمد في مكانه عند سماعه كلامها . وادركت من جموده انه ليس من الموافقين على ما اقترحته ، فاستبد بها الغضب، ولكزت جوادها لكزة قوية لتقطع الغدير ، فتعثر وسقطت بين الامواج ، فأسرع بارداليان لانقاذها ، فلما فتحت عينيها بعد ذلك ، صاحت به :

ــ لماذا انقذتني ولم تدعني اموت؟ فقال لها بارداليان برفق :

ــ تعالى استندي على ذراعي ، وهيا بنا الى هذا الكوخ القريب لتجف ثيابك ، وتستأنفي سفرك .

وسارت فوستا معه وهي تبكي ، وقد تأثر الفارس لبكائها ، وغفر لها ذنوبها الماضية بحقه وبحق الاخرين .

ولما وصلا الى الكوخ اعطى صاحبته دينارا لتوقد النار •

وبعد ساعة من الزمن ، جفت ثياب الاثنين ، فقال لها بارداليان : ــ عليك ان تسرعي بالسفر ، فان الجنود يطاردونك .

قالت:

_ سأذهب الى فلورانسا ، فان لي قصرا ورثته من اسرة بورجيا ، فهل تذهب معى ؟

فاعتذر بان هناك امورا عليه قضاؤها في فرنسا ، قبل ان يفكر في مفادرتها .

قالت:

ــ اذا سأنتظرك في قصري بفلورانسا ، بعد اذ تنتهي من اعمائك هنا . قــال :

_ حسنا ٠٠ ولكن الطريق بعيدة الا تخافين ؟

فهزت رأسها بالنفي ، وسألته ان يعمل لانقاذ خادمتين لها قبض عليهما الجنود في (بلوا) ، فوعدها ان يفعل ٠

سألها اذا كانت يحاجة الى المال فقالت:

ـــ لا ٠٠ لدي مال كثير في اورايان وليون ودافينيون ، فـــلا احتاج لشيء ٠

وغادرته ٠٠ ووقف بارداليان يودعها بانظاره حين شعر ان يدا لمست كتفه ، فالتفت ، فاذا به امام بيسي لكلرك ومنفيل •

لقد اخذت الحوادث على الاثر تجرى بسرعة مذهلة •

طلب الرجلان من بارداليان ان يتبعهما الى (بلوا) ، لان الجنود بطاردونه ، ولانهما مكلفان بالقبض عليه .

وهناهما بارداليان وهو ضاحك من تلونهما ، تارة يكونان مع الدوق، وتازة مع الملك • تارة يعملان جاسوسين ، واخرى يقومان باعسال الشرطة •

وعض الرجلان على شفتيهما ، وقال له بيسي لكلرك : ـ اتبعنا راضيا • • لانك ان تفلت منا هذه المرة • فقال بارداليان :

- اني مستعد للذهاب معكما ولكن ليس الى (بلوا) وانما الى مكان في ضواحيها حيث تقوم هناك طاحونة ، تشبه الطاحونة التي علقتكما عليها ، فاصفر عندئذ وجه منفيل ، ورقص شاربا بيسي ، وامتشقا حساميهما وهجما على بارداليان ،

وبعد لحظات طار الحسام من يد بيسي ٥٠ فذهب يلتقطه ، فلما عـاد الله بارداليان وجد منفيل قد سقط ميتا الى الارض ، بضربة مـن سيف الفارس البطل ٠

اراد (بيسي) الثار لصديقه ، ولكن بارداليان اطار له حسامه مرة ثانية . • • وهو نقول له :

_ اذهب فالتقط حسامك .

ولکن (بیسي) لم یذهب هذه المرة خلف حسامه . ورکع علی الارض وهو ببکی ... فتقدم منه باردالیان یهدیء روعه ؛ ویقول له :

ــ انبي لم اقاتلك مقاتلة العدو ، وانبا كنت ابدا ادافع عن نفسي، واذا كنت اكثر منك خبرة بفنون السيف ، فليس الذنب ذنبي .

فقال بيسى بصوت خنقته العبرات:

ــ لقد سقط شرفي ، وتلوث اسمى .

فقال بارداليان:

ـ ان الرجل الذي شاهد فشلك الجديد قد مات ، وانا على استعداد لمبارزتك ، ولكنك لن تفوز علي" لاني اعرف سبع طرق انزع سيفك مـن يدك ، فان اردت علمتك اياها ٠٠ فقد تنتصر علي" في المستقبل ٠ فسر (بيسي) من هذا الاقتراح ، وقال لبارداليان :

ــ انت رجل شریف • • ویسوئنی ان کنت من اعدائك ، فهل تصافح الید التی امدها الیك الآن ؟

وصافحه بارداليان وهو يقول :

۔ انت رجل بأسل •

ولما غادر بارداليان المكان ، كان همه البحث عن مورفر • • بعد ان تم الفضاء على اكثر اعدائه •

وكان بارداليان كما قدمنا قد قيد مورفر ، وعهد بحراسته الى جاك كليمانت في كوخ قريب ، فلما وصل اليه ، عرف ان مورفر قد تمكن من الفرار ، في غفلة من حارسه ، فسأل جاك عن الطريق التي سار عليها مورفر، فقال ك :

_ طریق بورجنس ،

ولما تهيأ بارداليان لمطاردة مورفر ، سأله (جاك) اذا كان يسمح لـــه الان دحريته ، ويتركه يفعل ما يشاء .

ففكر بارداليان ثم قال له:

_ ذلك شأنك ٥٠ فامض في سبيلك ٠

وفي الطريق لقي فلاحا يسوق مركبة ، فسأله اذا كان شاهـــد فارسا يعدو بجواده في هذه الجهة ٠

فاجابه : انه شاهد فارسا يتوجه في طريق تورس ٠

ولما وصفه له ادرك انه مورفر ، فمضى يلحق به ، حتى وصل السى فندق حقير ، فقرر ان يأخذ فيه بعض الراحة لنفسه وجواده ٠

سأل صاحب الفندق عن (مورفر) ووصفه له ، فانكر الرجل ان يكون قد مر بفندقه احد بهذه الصفة .

فخشي بارداليان ان يكون (مورفر) قد افلت من قبضته ، وسأل صاحب الفندق ان يأتيه بطعام وان يعتني بجواده .

ومضى يراقب صاحب الفندق وهو يأكل ، فرابه امره ، كما رابه امر خادميه ، فايقن انه بين لصوص وان عليه ان يحذر .

وبعد ان انتهى من طعامه ، اخذ يفكر ، ثم احس بالنعاس يدب الى اجفانه ، وفيما هو يحاول ان يطرد النوم عنه ، حدرا على نفسه ، رأى صاحب الفندق وخادميه من مرآة امامه يتقدمان من خلفه ٠٠ وقد شهر الجميع خناجرهم ، وسمع احدهم يقول لرفيقه همسا :

ــ لقد حانت الفرصة • • فائه نائم •

انتظر حتى اصبحوا جميعا على مقربة منه ، فوثب من مكانه ، وضرب الخادمين بكلتا يديه ، فسقطا ارضا ، ثم التفت الى صاحب الفندق الذي جمد في مكانه ، من هول المفاجأة ، وقال له :

ـ هيا تقدم ٠

وادرك صاحب الفندق انه ميت ، بعد ان شاهد قوته الهائلة فركــع وهو يقول :

- ـ رحماك يا سيدي واعف عني احدثك بكل شيء .
 - تكلم
- ــ القد سألنا احد النبلاء ان نقتلك ، ودفع لنا اجرا على قتلك ، وهو الرجل الذي سألتني عنه عند وصولك ، وانكرت رؤيته .
 - _ ومتى برح الفندق ؟
- ــ منذ خمس ساعات • وبعد ان وصف لي صورتك ، طلب منــا قتلك ، ولكني اشعر الان انه من اهل الشر ولولا ذلك لوقفت في وجهك ، ولما كلف غيره بمواجهتك ، وقد سافر في طريق بورجنس ، وان ادعي انه سافر في طريق (تورس) •

مضى بارداليان ليله في الفندق ، وفي الصباح غادره لمطاردة (مورفر) حتى وصل الى (بورجنس) وبلغ الضفة ، وشاهد القارب الـــذي ينقل

المسافرين عبر النهر ، فصعد اليه بجواده ، ومضى به النوتي ، حتى بلغ منتصف ألنهر ، فهز القارب بالمجذاف هزة عنيفة ، فانقلب جواد بارداليان وسقط في النهر •

وتمكن بارداليان بعد ان اخرج قدميه من ركاب الجواد ان يصعد الى سطح الماء ، فشاهد النوتي يسرع الى الضفة ، دون ان يكترث به ، او يحاول انقاذه ، كما سمع صوت رصاصتين تقعان بالقرب منه ، فايقن انسه القاه في النهر خصيصا ، وانه من اعوان مورفر .

ولما بلغ الضفة ، سار الى احد الفنادق حيث جفف ثيابه ، وتناول بعض الطعام والشراب ، ، ثم عاد الى الضفة فوجد النوتي ، فسأله ان ينقله الى الضفة الثانية وحذره ان يسقطه مرة ثانية في النهر ، و لاني عندئذ لن ادفع لك اجرك ، وساغرمك ثمن جوادي ،

فاطمأن النوتي الى انه لا يشك به ، واعتذر بأن الجواد اجفل فاهتز القارب وكان ما كان ٠

ثم قال ك :

ــ ارجـو ان يكون سيدي قـد عرف الشقيين اللذين اطلقا عليـه الرصاص ؟

_ وكيف عرفت انهما اثنين ؟

ــ لقد شاهدتهما بعيني ٠

فقال مارداليان:

_ واما انا فلم ارهما ، وقد افلتا من يدي • • واما انت فلن تفلت ابدا • وقبض على عنق التوتي ، واغرق رأسه في الماء وهو يقول : .

ـ اعترف بانك حاولت اغراتي او تموت •

وكاد النوتي يجن من الخوف ، واعترف لبارداليان اخيرا بان (مورفر) هو الذي كلفه بذلك مدعيا انه اي (بارداليان) من الهيكونوت •

ولما سأله اين ذهب مورفر ، اجأب ،

ــ انه في بورجنسي ، وقد اقام في فندق الاسد الذهبي ، ولم يذهب الى اوراليان .

فقال بارداليان:

_ عد بي الى الضفة حالا •

ولما وصل بارداليان الى الفندق قال لصاحبته :

ــ انبي قادم يا سيدتي من (بلوا) حيث قتل الدوق دي كيز .

فالتف حوله الناس يسألونه عن الاخبار ، فقال لهم :

ـ انبي اطارد احد قتلته ه

واعطاهم صفة (مورفر) •

فقالت صاحبة الفندق وهي تدق يدا بيد:

ــ لقد كان الشقي هنا منذ ربع ساعة فقط ، والان عرفت السبب في اسراعه بالهرب .

فقال مارداليان:

_ وكيف كان ذلك ؟

ــ لقد وصل اثنان من شركائه وتحدثــا اليه همسا ، فهب مـــذعورا وغادر الفندق .

فادرك بارداليان ان الرجلين هما اللذين اطلقا عليه النار واخطآه •• واعطى صاحبة الفندق بعض المال للحصول على جواد ليتبعه •

فقالت:

ے بل تحصل علیہ بدون مال •

ــ اتعلمين اية طريق سلك ؟

ـ طريق شاتورين •



اسرع باردالیان فی طریق شاتورین ، حتی بلغ غابة (مارتنوار) التي کان واثقا ان (مورفر) لا بد ان یمر بها ۰

وبعد قليل سمع صهيل جواد في الغابة ، ثم شاهد فارسا يتقدمه . فابتسم ابتسامة هائلة لان هذا الفارس لم يكن غير مورفر .

وكان (مورفر) قد انتخلع قلبه خوفا ورعباً حين ادرك ان بارداليان يطارده ، وانه سوف يصل اليه ، بعد ان فشلت كل محاولاته لقتله .

وفي هذه اللحظة عثر جواد (مورفر) بصخر فكبا ، وقفز مورفر منه دون ان يصاب بأذى .

ولما التفت حوله شاهد (بارداليان) لا يبعد عنه اكثر من ثلاثين خطوة •• وقد اخذ يتزجل عن جواده •

تمالك نفسه واخرج غدارته ، واطلق النار .

ولكنه اخطأ الهدف لان يده كانت ترتجف .

ثم اخذ يتراجع وهو ينظر الى بارداليان حتى التصق بشجرة كبيرة ، فجمد في مكانه ، وبارداليان ينظر اليه لا يرفع عينه عنه .

سأله بارداليان لما اصبح قدامه:

ــ لماذا غدرت بي بعد ان عفوت عنك فوق هضاب مونمارتر ؟ واحتبس الكلام على لسان (مورفر) فلم يقل شيئًا .

ومضى بارداليان يسأله:

ــ ولماذا قتلت لويزا وهي لم تسىء اليك ابدا •• ولماذا رحت تستأجر الناس لقتلي ••٩٠٠ والان حدثني كيف تريد ان تموت ؟

ولم يجبه مورفر •

ولم يفطن بارداليان الى ان خصمه قد ثقل تنفسه وتهالــك جسمه ، كأنما هو في حالة النزاع .

ودنا منه بارداليان ووضع يده على كتفه وهو يقول:

ــ لقد خيرتك بالميتة التي تريدها فلم تجبئي ٠

فتح مورفر فمه واطبق عينيه •• وبقي مستندًا الى الشجرة وقد التوى ساقاه ، ولو رفع بارداليان عنه يده لهوى ارضا •

ولكن بارداليان لم يفطن الى الخوف السظيم الذي ملا قلب مورفر . وراح بارداليان يقول :

ــ لقَّد غوت عنك يا قاتل لويزا •• لانك لا تستحق الموت •

مقتل ملك فرنسا

عاد باردالیان بعد موت (مورفر) الی (بلوا) فوصلها في الیوم التالي، فشاهد کریلون قائد حراس الملك یطارد قوما من انصار دي کیز، فساعده علیهم فلما اقبل یشکره قال باردالیان له :

ــ لسته اريد شكرا ، وانما اريد خدمة متواضعة ، وهي ان جماعــة من الحرس قبضوا على خادمتين لفوستا ، لا علاقة لهما باعمالها ومكايدها فهلا اطلقت سراحهما .

فوعده كريلون ان يفعل وان يخرج بهما الى ظاهر المدينة . فشكره بارداليان وقال له :

- ــ قل لهما ان ينتظراها في اورليان، وهما يفهمان ما يجب عليهما عمله، فقال له كريلون :
- _ سأفعل • وبهذه المناسبة عليك ان تحذر من (لارشان) فهـو غاضب ناقم عليك
 - _ وما الذي يستطيع عمله ضدي ، ايريد ان اكسر له رجله الثانية ؟

فضحك كريلون وقال:

ــ انه لا يجسر على عمل شيء ضدك ما دام الملك يحميك •• تعال معى اقدمك الى جلالته •

ولكن بارداليان رفض هذا العرض ، وقال له : اذا سألك الملك عني فقل له انك لم ترنى .

فعجب كريلون ، كيف يهرب بارداليان من لقاء الملك • والملك يبحث عنه ليفدق عليه نعمه ، فيما يبذل الكشيرون ما يملكون للوصول الى جلااته ، والوقوف على ابو ابه •

وعلم بارداليان وهو في (بلوا) ان الدوقة دي مونتبانسيه شقيقة الدوق دي كيز والتي حاولت اكثر من مرة اغراء جاك كليمانت على قتله ، والتمويه عليه بانها تحبه ، قد تمكنت من النجاة بجلدها والفرار من (بلوا) . وان رجال الملك لم يظفروا بغير الكردينال شقيق الدوق الذي صار قتله .

وكان بارداليان يحاول العسودة الى باريس بعد ان سافر الملك السى (امبواز) • • وعين كريلون حاكما على (بلوا) • • ولكن كريلون كان يكره بارداليان على البقاء معه ، حتى جاءت الاخبار بأن (مايان) قد جمع جيشا كبيرا انضم اليه الناقمون من الشعب ، وانه يحاول الزحف السى باريس على رأسهم •

والتقى بارداليان بجاك كليمانت في احد شوارع (بلوا) وهمو في ملابس الرهبان ، فسأله هذا ان يساعده للوصول الى القصر والدخول اليه ، فاجابه بارداليان وقال له :

_ ليس من عادتي ان اساعد احدا على قتل آخر ولو هاجمك عشرة

ملوك لدفعتهم عنك وقتلتهم ، واما الكيد للملوك والتآمر فهذا ليس مسن شأنى •

واقبل كريلون في هذه الاثناء فلما شاهد بارداليان مع الراهب سأله :

- اتعرف هذا الراهب؟

۔ نعم ہ

_ هذا يكفي ٠

ثم التفت الى (جاك كليمانت) وقال:

ــ ان كاهن القصر غائب عنه •• وقد طلبت ام الملك كاهنا تعترف له فاتبعني •• فان الله قد ارسلك في هذه اللحظة •

وقبض جاك على ساعد بارداليان وقال له :

ــ اسمعت ٥٠ لقد ارسلني الله اليه ٠

فنظر بارداليان الى السماء وقال :

- لا حيلة بمغالبة القدر .

لقد كان (جاك) يريد الوصول الى الملك ٥٠ ولكنه رضي بالذهاب الى الملكة لان هذا يساعده على الدخول الى القصر في المستقبل ، وقد سرت (كاترين) وكانت مريضة حين عرفت انه غريب ، فقد ارضاها ان تعترف باثامها لكاهن غريب ، بدلا من كاهن القصر ٠

سألته عير الملك ولدها .. فقال :

ــ انه في (امبواز) • • يا سيدتي •

فدممت عيناها وقالت:

ــ سأموت دون ان اراه واسفاه • ُ

واخذت تعترف المراهب بانها قتلت عشرين شخصا لخير المملكة .

فقال جاك:

- ليست هذه الذنوب خطيرة فامضي في حديثك . فتهلل وجه الملكة وقالت :

ــ واعترف ايضا ان مونغوميري قتل زوجي هنري الثاني •• ولـــم يكن هذا القتل من قبيل الصدفة كما توهم الناس •

فقال جاك:

ـ ولكن زوجك اساء اليك كثيرا .

فسرت كاترين ، واعترفت ايضا بانها قتلت ملكة النافار بواسطة القفاز المسموم الذي ارسلته لها .

واعترفت ايضا بان ولدها شارل التاسع كان من الممكن ان يطـول عمره ، لو لم تكن راغبة في جلوس ابنها الدوق دانجو مكانه .

كما اعترفت بانها قتلت كوليني • • وانها هي التي امرت بقتله • • كما قتلت عدة الاف من اتباعه ، ولكنها فعلت هذا كله لخير الكنيسة •

ولما انتهت من اعترافاتها هذه ومن اعترافات اخرى مماثلة ولكنها اقل خطرا وهولا ، طلبت من الكاهن ان يحلها من ذنوبها • • حتى لا تمسوت ملعونة مغضوبا عليها من الله •

فقال جاك وقد انتصب واقفا:

ـ اذا موتى ملعونة مغضوبا عليك من الله والناس •

« لقد نسيت ان تعترفي بقتلك اليس دي ليكس • • التي هي امي • • التي الله ان يغفر لك خطاياك • • بل ازجك بيدي في جهنم • • ولتعلمي قبل ان تموتي • • انا الذي سيقتل إبنك هنري الثالث » •

فصاحت الملكة صيحة منكرة حين سمعت هذا الكلام ، واهتز جسمها

اهتزازا عنيفا ثم اسلمت الروح •

وفي اليوم التالي عاد الملك الى (بلوا) • • فلما علم بموت اســـه امر بدفنها دون ان يحزن على موتها •

ولما غادر (جاك كليمانت) القصر التقى بارداليان ، فعرف منه ان الملك سيعود الى باريس لصد جيش الدوق دي مايان ، فقرر الذهاب بدوره الى باريس ، وخلع ملابس الرهبنة ولبس ملابس الفرسان .

وغادر بارداليان (بلوا) ايضا السى ايطاليا بعد ان رفض عرض (كريلون) بتولي قيادة فرقة من فرق الملك ، وعرج في طريقه على اورليان حيث زار صديقه الدوق دانجلوم وامرأته البنفسجية وامه ماري توشيت، فلقى من احتفاء الاسرة به ما اسال دمعه وابكاه .

وقد ضحك كثيرا حين شاهد كرواس وبيكوسي يلبسان الثيباب المزركشة يقومان بخدمة الاسرة ، وقد نسيا فاقتهما القديمة ، وجوعهما السالف .

واقام بارداليان عند الدوق يوما وليلة ، وقد بكوا لما انبأهم بعزمــه على السفر ، واخذوا منه عهدا ان يعود اليهم .

ولما وصل الى احد الفنادق في الطريق ، واخذ يخلع ملابسه احس بثقل فيها ، فبحث ٠٠ فوجد خمسمائة دينار قد وضعت في اكياس صغيرة مسن الحرير ، ووزعت هنا وهناك ، ووجد معها كتابا من (ماوي توشيت) تقول فيه ٠٠ انها هي التي وضعت هذا المال في جيبه ، لنفقات سفره ، عسلى ان يردها اليها في المستقبل ٠

ولقد وصل بارداليان الى فلورنسا في اواخر شهر نيسان ، وذهب على التوالي الى القصر الذي اعطته اسمه (فوستا) ٠٠ فلما علم بواب القصر انه بارداليان اعطاه رسالة من فوستا، كانفيها هذه الكلمات الاربع:

(رومه • • القصر الضاحك • • فوستا)

ولما وصل الى رومه نزل في فندق يشرف عليه احد الفرنسيين فقضى ليلته فيه ، فلما اصبح الصباح سأل صاحبه عن القصر الضاحك فدله عليه، فتوجه اليه ، فاذا به يجد نفسه في قصر لم يشاهد مثله في حياته .

وقد ادخله الخادم الى ردهة عظيمة ازدانت بالرسوم البديعة ، فوقف ينظر الى ما حوله حائرا دهشا ، حتى وقف امام صورة امرأة من صنع الرسام الشهير روفائيل ام تقع عيناه على اروع منها واجمل •

واقبات فوستا في هذه الاثناء ، فحنى رأسه مسلما ، فحنت رأسها ترد تحبته ، وقالت له :

ــ هذه صورة جدتي ليكريس بورجيا ، التي كانت احسن حظا مني، فسادت ليطاليا ، كما سادت على المسيحية بواسطة ابيها البابا اسكندر ، « وقد كان هذا القصر مقرها ، وكان الملوك والامراء يهرعون اليه لاسترضائها • • واما الان فلم يبق من المجد الغابر الا ما ترى •

« ولو اني كنت محمية بحسام رجل باسل لا يغلب ، لكنت اقيم في هذا القصر حاكمة اميرة لا مضطهدة تحاول الاختباء والاختفاء » • فقال مارداليان :

ــ لقد حسبت حوادث الماضي علمتــك الزهد في المغامرات وحــب التسلط .

« وكنت اظن انك عقدت صلحا مع البابا ، وانتهي ما بينكما مسن الخلاف ٠٠ » •• فهزت فوستا رأسها وقالت :

ب اسمع ايها الشفاليه ٠٠ حين برحت (بلوا) كنت احسب اني قطعت ما بيني وبين الماضي من صلات وعلاقات ٠٠ ولكني حين بلغت ايطاليا ادركت اني لا ازال حفيدة لكريس ٠

« وقد غلبت لانك وقفت في سبيلي ، لو كنت معي لنجحت ٠٠ واسا البابا فقد تركته وشأنه ، ولكنه لم يتركني ٠٠ ولا يزال يطاردني لينتقسم

منسى •

« لقد برحت فلورانسا ولم انتظرك فيها ، لاني ادركت ان البابا يطاردني » ٠

ــ ولكن كيف تهربين من فلورانسا الى رومه ، وهي عاصمته وفيهــا يقيم ؟

قالت:

لقد فعلت ذلك ذرا للرماد في العيبون ، لان احدا لن يعتقد اني اهرب منه الى اقرب مكان اليه •• ولتعلم انه لا يزال لي انصار هنا ، فاذا انتصرت مرة واحدة ، عادوا الي واجتمعوا حولي ، فبلغت بهم ما اريد •

« ثم ان لدي في هذه العاصمة جيشا مؤلفا من الفي رجل ينتظرون امرا منى •

« ولي في قصر البابا نفسه بعض الجواسيس ، فاذا تمكنت منه بات زمام السلطة في يدي .

« وانا اعتمد عليك يا بارداليان لمساعدتي •• فساذا وافقت •• فلن يعوزنى الرجال ولا المال » •

فقال مارداليان:

_ كل شيء ممكن ٠

فيرقت عيناها فرحا ٥٠ وقالت :

- اني لا اريد ان توافق على مطالبي حالا • • فان هذا الامر يحتاج الى الدرس والتفكير • • فعد الي" بعد ايام ثلاثة ، فاما ان توافق على مساعدتي ، او تعود الى فرنسا فنفترق الى الابد • • والان استودعك الله إيها الشفاليه •

وعاد باردالیان الی الفندق و هو یقول :

ــ لقد اخطأت بزيارتها • • فان هذه النمرة لا تزال على عهدها الاول، وخير لي ان اعود من حيث اتيت •

وقد نقل اليها رأيه هذا في مساء اليوم الثالث حين زارها في قصرها . استقبلت رفضه هادئة ساكنة ، ودنت منه تقول :

- احبك • • ايها القاسي الفؤاد وانت تجفوني • • وادنيك فتقصيني • وامسكت به وامسك بها ، وهو ذاهل لا يدري ما يصنع ، وقد نسي نفسه ، وسكر بفرامه •

ولما افاق من هذا الحلم العجيب ، قالت له :

_ لقد غلبتني انا العذراء • • ولهذا قررت موتك ، فقد اشعلت الخادمة النار في هذا القصر ، وهو يحترق الان • • وقد خرجت الخادمة بعد ان اقفلت جميع ابوابه •

فتح بارداليان عينيه بعد قليل .

فلم يشاهد فوستا بقربه ، وسمع ضحكا مرعبا يتردد في اجواء القصر الكبير ... فعاد اليه صوابه في الحال ، حين اشتم رائحة الدخان ، وسمع صوت النار وهي تلتهم الاخشاب .

راح يبحث عن فوستا ٠٠ وقد ادرك ان القصر يعترق ٠

اخذ يناديها فلم تجبه ٠٠ ولكنه سمع ضحكتها من جديد ، وشاهدها فجأة بين الدخان فاسرع اليها وهو يقول :

ــ لا تقلقي وقفي ٠٠ سأنقذك وتحيين ٠

وسمعها تقول من خلال الدخان •

ـ نعم يا بارداليان ١٠ اني سأحيا ١٠ واما انت فستموت ٠

كانت تتكلم وهي تتراجع فيضعف صوتها حتى اختفت عن انظاره ٠

واحس باردالیان انه مائت لا محالة • • بعد ان شاهد النار قد ضربت نطاقا حوله •

اخذ يدور في القاعة كالمجانين لعله يعثر على منفذ فيها فلم يجد شيئا . واستسلم للموت .

ولكنه مأ ابث ان سمع دويا هأئلا ، وشعر ان انفاسه قِد عادت اليه ،

وان نسمه من الهواء المنعش قد تسللت اليه ٠٠ فادار عينيه حول القاعة ، فاذا سلم القاعة قد انقض من مكانه ، وظهرت من ورائه ردهة في الدور الاسفل لم تصل اليها النار ، فاندفع اليها وقفز الى الردهة ، ومنها الى غرفة صغيرة فتح نافذتها ثم القى نفسه في الماء ٠

ولما بلغ الشاطىء بعد قليل ذهب الى الفندق حيث نام نوما عميقا فلما صحا عند الفجر سمع صاحب الفندق يتحدث عن حريق البارحة ، وانهسشبت في قصر شهير يخص لكريس بورجيا ، لم يكن يقيم فيه غير امرأة يقال انها كانت متمردة على الحبر الاعظم ، فالتهمتها النيران جزاء كفرها ، واصفر وجه بارداليان لما سمع هذا الخبر ، وحزن لموت فوستا ثم قرر العودة الى فرنسا ، فدفع حسابه لصاحب الفندق ، وركب جواده ومضى ،

ولكن فوستا لم تمت في الحقيقة •

فان الخادمة التي وضعت النار في القصر ، وقفت تنتظر سيدتها في الخارج ، وقد شاهدت رجالا يرودون حول القصر فلم تبال بهم ، ولما انفتح الباب وظهرت فوستا انقض عليها هؤلاء الرجال وقبضوا عليها، وقال لها احدهم:

ــ انناً فراقب قصرك منذ ايام ، ونقبض عليك الان باسم الحبر الاعظم، فاتبعينا بسلام ولا تقاومي .

فالقت فوستا نظرة وداع على القصر وسارت مع الجنود •• الى حيث ينتظرها مصيرها •



ما لبث بارداليان ان نسي فوستا • • بعد الحوادث التي اخذت تتابع على مسامعه حين وصل الى حدود فرنسا •

فقد سمع مثلا ان الكردينال دي بوربون اعلن نفسه ملكا على فرنسا

باسم شارل العاشر ، وإن الدوق دي مايان قد احتل باريس ، وإن الملك هنري الثالث في اشد حالات الاضطراب والقلق ٠٠ وإن هنري دي نافار يقيم في (سومور) على رأس جيش كبير ، وإن كثيرا من المدن الكبرى ثائرة ناقمة على الملك الشرعي هنري الثالث ٠

وادرك بارداليان ان اعوآن دي كيز ورجاله هم الذين ايدوا الكردينال دى بوربون وعينوه على عرش فرنسا .

ولكن هذا العرش لم يكن تمتد حدوده الى اكثر من باريس ، واما المدن الاخرى فكانت قلقة ثائرة لم يستقر رأيها على شيء ، سوى نقمتها على الملك الشرعى •

وقرر الذهاب الى (بلوا) لمساعدة الملك ، ما دام ليس هناك ما يعمله غير ذلك .

ولما وصل الى (بلوا) في ٢٥ تموز ، علم ان الملك يقيم بين (تسور) و (امبوز) وحوله جيش ضعيف ، فذهب الى معسكره والتقى بكريلون فسر هذا بقدومه ، وعرض عليه الدخول في خدمة الملك .

فقال بارداليان:

_ الافضل أن أظل حرا ٠٠ لاني قد استطيع خدمة الملك بذلك أكثر من وجودي في خدمته ٠٠ وقد رأيت البلاء ثائرة عليه ، ولن يستطيع بجيشه الضعيف مقاومة جيش مايان ٠

فقال كريلون :

ان ما تقوله صحيح • واو كنت مكان الملك لحالفت هنري دي نافار ، فجيشه قوي ، وباستطاعة الملكين سحق كل الثائرين • والملك يدرك الفوائد التي تعود عليه من التحالف مع هنري دي نافار ، ولكنه يخشى ان يرفض هذا التحالف معه • وقد فكرت بالذهاب الى هنري دي نافار واقناعه ، ولكني موظف عند الملك فاخشى ان يقال ان الملك ارسلني و فعرض عليه بارداليان ان يذهب هو لقضاء هذه المهمة •

فسر كريلون ودعا بارداليان لمقابلة الملك ولكن هذا اعتذر ، وفضل ان يدعوه صديقه لتناول الطعام على مائدته .

وبعد ان اشبع الفارس بطنه ، توجه الى معسكر هنري دي نافسار ، بينما ذهب كريلون الى الملك وحدثه بما جرى بينه وبين بارداليان •• فسر سرورا عظيما •

ولما وصل بارداليان الى معسكر ملك النافار استقبله الملك استقبالا عظيما ورحب به ترحيبا كبيرا حين علم انه الرجل الذي انقذ امه من الموت لما كانت في باريس ، كما تذكر اجتماعه به في قصر كوليني فعرض عليب بارداليان رأيه في الموقف الحاضر ، وكيف ان ملك فرنسا لا يملك الان ، والدنيا ناقمة ثائرة عليه ، وانه اذا اتفق مع هذا الملك الضعيف وحالف ، انتصر على جيش الدوق دي مايان ، ولا بد ان ملك فرنسا سوف يعينه على اثر هذا الصلح خليفته ، فاذا رضي ملك نافار عندئذ بالانضمام السى الكثلكة قبلته كل فرنسا ودانت له الدنيا كلها ،

وقال هنري دي نافار :

- ولكني لن افعل • • فمعاذا الله ان اترك دين ابائي • فقال له بارداليان:

« ولكن باريس تساوي قداساً يا مولاي ٠٠ »، فضحك الملك، وطلب من بارداليان أن يبقى في ضيافته أياما ريثما يرسل ألى ملك فرنسا رسولا يبحث هذا التحالف معه ٠

وبعد ساعة من الزمن ذهب رسول (هنري دي نافار) الى ملك فرنسا يحمل شروطه للتحالف معه ، وعاد بعد يومين يعلن ان ملك فرنسا وافق على شروطه ، وانه يعين مكان الاجتماع في قصر (بليسي) • • وعقد الاجتماع وذهب بارداليان مع هنري دي نافار ، وبعد ثلاثة ايام انضم الجيشان ، وسارا الى باريس فكسرا جيش الدوق دي مايان ، وعسكرا في سانت كلود ، وقامت الدنيا على الاثر في باريس ، وقرر سكانها مسالمة

الملك خوفا من ان تمتد الحرب الى العاصمة فتنهب الملاكهـم ، وتحرق منازلهم •

* * *

وكان (جاك كليمانت) قد تبع الجيشين المتحالفين الى (سانت كلود)

• وقد زاد اصراره على قتل الملك بعد ان استرضته شقيقة الدوق دي
كيز واغرته بقتله •

ولما لم يتمكن منه في الطريق قرر الدخول عليه في المنزل الذي يقيم فيه ، فاعترضه الحراس ، وسمع الملك اصواتهم فسأل عن الخبر فاخبروه ان رجلا يريد مقابلته ويلح في ذلك .

فاسرع احد الضباط الى (جاك) يسأله عما يريده من الملك فقال : انه قادم من باريس ويحمل الى الملك انباء خطيرة .

فامر الملك بادخال هذا الراهب عليه ، فطلب جالة حين شاهد الحرس من حول الملك ان يكون الاجتماع سريا لخطورة الحديث ، فوافق الملك وغادر القاعة جميع الحاضرين ، فقدم عندئذ جاك الى الملك كتابا مختوما ، فاخذ الملك يفض اختامه ، فبادره جاك باغماد خنجره في احشائه ، وصاح الملك صبيحة هائلة ، فاسرع اليه رجاله وعلى رأسهم كريلون ، فلما رأوا الملك بهذه الحالة ، وجاك واقف يشتم ويضحك ، انقضوا عليه بسيوفهم وخناجرهم فمزقوه وقتلوه .

واسرع ملك النافار لما سمع بالخبر ، فلما افاق الملك من اغمائه، طلب ورقة وقلما ، وقال لهنرى دى نافار :

« الوداع ايها الاخ الحبيب ، اني سأموت بعد قليل ، وعندي من الوقت ما يكفيني لكتابة وصيتي ، وسأعهد اليك فيها بعرش فرنسا ، لقد انقرضت اسرة فالوا ، فلتحيا اسرة بوربون » •

فوستا في السجن

عرض ملك نافار على بارداليان ان يعينه مستشارا في بلاطه ، فاعتذر ، وعرض عليه ملك فرنسا هنري الثالث عصا المارشالية ، وذلك قبل موتب فأحابه :

« انه راض بحسامه ، ولا يريد وظيفة اخرى غيره » ، وسافر الـــى باريس ليأخذ لنفسه بعض الراحة في فندق دفينير .

فلما وصل اليه وقف حائرا مبهوتا ، فقد شاهد كل شيء قد تبدل وتغير في هذا الفندق ، اذ تحول الى منزل .

ولا بد ان صاحبته هيكيت قد تركته ، وانتقلت الى مكان آخر .

· فأطرق كثيبا ، وحاول العودة من حيث أتى ، لولا انه شاهد على الباب قطعة من النحاس ، فتقدم يقرأها ، فاذا عليها « منزل بارداليان » •

جمد في مكانه لحظات .

ایکون له منزل فی باریس ، ثم لا یعرف بوجوده ؟

وطرق الباب ، ففتحت له خادمة ، فلما احتواه المنزل وجاد ان داخله لم يتغير عما كان عليه قبلا ، ثم شاهد (هيكيت) تقبل عليه ، ففرح برؤيتها مرحا شديدا ٠٠ والقت تفسها بين ذراعيه ، تعانقه وهي تبكي مسن الفرح والسرور ٠

سألها بارداليان بعد ان عادت اليه نفسه ؛

_ لماذا اقفلت هذا الفندق؟

فالت:

_ فعلت بعد ان جمعت من المال ما يكفيني ربعه ، وكرهت ان يبقى فندقي مفتوحا للزائرين ، وخصصته فقط لشخص واحد ، وعدني انه سيأتي يوما ليستريح فيه ، فما هو للناس وانما هو لك ٠٠ وهه الان (منزل بارداليان) ٠

واخذ بارداليان الباسل يبكي لاخلاص هذه المرأة له •

وقال لنفسه:

ــ لقد رفضت ان اكون وزيرا ، واعتذرت عن قبول عصا المارشالية ، وفضلت ان ابقى من عامة الناس .

وبعد شهر عقد زواجه مع هيكيت ٠٠ ولكن هذه المرأة المخلصة لم تهنأ طويلا بزواجها ، فقد اصيبت بالحمى بعد اشهر وماتت فحزن بارداليان عليها حزنا شديدا ٠

وكانت قد اوصت بكل اموالها لزوجها ، فانشأ بارداليان مستشفى بهذا المال اطلق عليه اسم (هيكيت)، ثم برح باريس بعد ان ضاقت الدنيا في وجهه بعد وفاة زوجته ٠٠ ولم يعد يطيق الاستقرار في مكان واحد ٠

* * *

بدأت محاكمة فوستا بعد ان تم القبض عليها من قبل جنود البابا ، سيكست كنت .

وصدر الحكم عليها اخيرا بالاعدام ، وتعين يوم الاعدام في اليوم التالى ٠٠٠

ولم تحفل فوستا بالحكم ، وقالت لخادمتها التي سمحوا لها بالبقاء معها لخدمتها في تلك الغرفة الحقيرة :

- انهم لن يحصلوا على جسمي الا جثة هامدة قالت الخادمة :
 - _ وكيف يكون ذلك يا سيدتى ؟

ــ لدي ست حبوب تذوب في الماء ، فاذا شربت واحدة منها نمت يوما واحدا ، واذا شربت ثلاثة نمت الى الابد واحدا ، واذا شربت ثلاثة نمت الى الابد ماء • فاعطنى كأس ماء •

فلماً امسكت فوستا قدح الماء بيدها ، احست بشيء يتحرك في احشائها ، وجاءها المخاض ، فتأخر الحكم عليها ريثما ولدت طفلها .

وعندئذ قرر القضاة تنفيذ الحكم في اليوم الثالث لولادتها ، ومضت فوستا ليلتها تنظر الى طفلها ، فلا تقبله ولا تحنو عليه ، حتى اذا اقبل الصباح نادت خادمتها ، فامرتها ان تأتيها بكأس ماء ، فذوبت فيه الحبوب الثلاث ، والتفتت الى الخادمة تقول .

ــ عليك ان تتولي تربيته ، وتذهبين به الى باريس ، حتى اذا بلغ مبلغ الرجال اخبرته بامره وامر ابيه .

فأقسمت الخادمة على ان تفعل كل ما تأمرها له •

فاخذت عندئذ فوستا الطفل بين يديها ، ونظرت اليه نظرة قاسية ، وقالت تخاطبه :

ــ یا ابن فوستا ، ویا ابن باردالیان ۰۰ ما عسی یکون مصیرك ۴۰ هل تجتمع یوما مع ابیك ، وهل تنتقم لامك ۴

ثم شربت الكأس جرعة واحدة واسلمت الروح .

وفي صباح اليوم التالي • • وهو الموعد المعين لاعدام فوستا ، كانت الساعة تشير الى إن ساعة تنفيذ الحكم قد اقتربت •

وفي هذا الصباح نفسه ، كان رجلان يجلسان في قصر فخم من قصور رومية ، وقد انزويا في احدى غرفه ، وهما في مقتبل العمر ، وقد وقع الاثنان في حب (فوستا) ، وراحا يفكران في خير سبيل لانقاذها .

كان احدهما (اسنكــدر بريتي) ، ابن اخت البابــا ، كبير روميــة وزعيمها .

وكان من المنتظر ان يخلفه بعد موته •• وقد عينه البابا كردينالا باسم مونناات •

واما الثاني (هرقل سفوندراتو) ، فسليل احدى الاسر الرومانية الشهيرة ٠

تولى منصب القضاء ، رغم صغر سنه ، حتى اصبح من اعظم القضاة، شهرة وقسوة ، وكان يعتبر من رجال البابا المخلصين .

كان هرقل يقول لمونتالت:

اسمع • • لقد اخذت تـدق الاجراس مؤذنة بقرب تنفيـذ حكم الاعدام ، ولم يبق سبيل لانقاذها •

فقال له مونتالت :

ــ سأذهب وانطرح على قدمي قداسته ، واسأله العفو عنها .

فقال هرقل:

_ انا الوحيد الذي يستطيع انقاذها • • فان اقسمت لي على ان تتنازل عن حمها. فعلت •

فقال مونتالت:

اني افضل انتزاع فؤادي من صدري على ترك حبها • وسأدافع عنها ضد رومية كلها ، حتى ولو اصبحت وحيدا • • • واما الان فمت انت اولا ايها القاضي الاعظم ، لانك انت الذي اصدرت عليها الحكم بالاعدام وبأسرع من لمح البصر امتشق سيفه من عُمده واهوى به على (هرقل) وخرج من الغرفة لا يلوي على شيء •

ولكن الدرع الفولاذية التي كان يلبسها (سفوندراتو) حمت من سيف خصمه ، فما عتم ان انتصب على قدميه ، بعد ان غادر خصمه الفرفة، وقد بدت على وجهه ابتسامة رهيبة .

واما موتنالت فقد مضى الى السجن القريب من القصر ، فلما شاهده الحارسان تراجعا من قدامه ، هيبة ووقارا لانتسابه الى عظيم رومية ٠

فاطل من نافذة صفيرة على الغرفة ، فشاهد فوستا تمسك بمولودها وقد ازدادت جمالا على جمال ، وهي تتحدث الى خادمتها ميرتيس بأن تفادر رومية مع الطفل ، وان تهرب به بعيدا ، لان احدا لن يعارضها عند خروجها من السجن ، لان زعيم رومية انما يريد الانتقام منها لا مسن احد غيرها .

فوعدتها الخادمة ان تفعل ، وان تعيش للطفل وتقوم على تربيته • فسرت فوستا من هذا الوعد ، وتناولت عن عنقها انبوبة شربت ما فيها من حبات السم دفعة واحدة ، ثم القت رأسها على الوسادة وفارقت الحياة •

* * *

صاح (مونتالت) عندئذ ، بصوت تملكه الرعب والخوف وقال : ـــ كان يجب ان افطن ، الى ان فوستا سوف تقدم على الانتحار ، لتنجو من قبضة الجلاد •

وصاح بالحارسين ليفتحا الباب •

فقالا:

ــ لا يفتح هذا الباب يا سيدي الا لمولانا الحاكم الاعظم •

ولم يكن الحاكم الأعظم غير خصمه (سفوندراتو) • • فسقط على الارض باكيا عندما ادرك ضعوبة الحصول على امر من خصمه •

فجأة سمع صوتا يقول بهدوء :

_ وانا أيضا يحق لي فتح هذا الباب فافتحاه ٠

ورفع (مونتالت) رأسه ليجد امامه مفتش اسبانيا الاعظم(اسبينوزا)، وكان رجلا في السادسة والخمسين من العمر ، طويل القامة ضخم الجثة ، جاء الى رومية منذ شهر لمقابلة زعيم الكنيسة ، وقد اجتمع به اكثر مسن مرة ، ولاحظ المتصلون بالحبر الاعظم ان ما قاله (اسبينوزا) قد اثماره وهمته ، وبدا الاضطراب على وجهه ، وهو الذي لم يكن يلقى بالا لخطر، مهما علا شأنه ، وعظم اثره •

فغادرت الخادمة مع الطفل الغرفة ، وصاح (مونتالت) يقول لما وقف المام جثة فوستا :

- الويل للذين قتلول يا فوستا ٠

ثم تذكر المفتش الاعظم ، فبكي وقال :

ــ لماذا جئت بي الى هذا المكان يا مولاي ؟ • اني اسمع صوتا داخليا يقول لي ، انك في سبيلك اصنع معجزة من المعجزات ، فان لم تفعل فاني لاحق بها •

وامسك بسيفه يريد ان يغمده في صدره ، فمنعه المفتش الاعظم وقال له :

ـ ان السم الذي تناولته فوستا ، قـد اشترته من (مانيه) بـائم الاعشاب ، ولهذا السم ضد واحد اتيت به معي ٠٠ فخذه وافعل بـه ما تشاء ٠

فصاح مونتالت :

ـ انقذها يا سيدي ٠٠ وخذ حياتي ٠

ــ ان حياتك ثمينة عندنا ٠٠ ولن اطلب منك مثل هذا الثمن لقــاء انقاذها ٠

فأدرك مونتالت ان المفتش سيطلب منه خدمة ، مقابل انقاذها ، فقال : - مرنى يا سيدي انفذ ما تريده .

فقال المنتش:

_ تعال ساعدني ٠

ـ تعال ساعدني ٠

امسك (مونتالت) برأس فوستا ، وسكب المفتش في فمها السم المضاد .

وبعد قليل اخذ وجه (فوستا) يتشرب بالحمرة ، كأن الروح قد بدأت تدب فيه ، وبعد لحظات اخذت تتنفس .

فصاح مونتالت يقول :

_ حمدا لله ، فهي لا تزال حية .

وقال المفتش:

- بعد ساعتين تعود الاميرة فوستا الى وعيها ، وتنجو من الموت • التفت عندئذ مو تنالت الى المفتش وقال :

ــ ما الذي يأمرني به سيدي ٠٠ لاقوم بتنفيذه ؟

ــ لقد جئت الى رومية من اسبانيا لأحصل على مستند موقع بامضاء هنري الثالث ملك فرنسا ، وعليه خاتمه ، وهذا المستند موجود في غرفة زعيم رومية التي لا يدخلها في غيابه سواك يا مونتالت ، وانا اريد الحصول على هذا المستند ،

فقال مونتالت:

ــ امرك يا سيدي وسأذهب لاحضاره ٠

فلما غادر مونتالت الغرفة فتحت فوستا عينيها ، ونظرت الى المفتش الاعظم ٠

فقال لها هذا:

ليطمئن بالك على طفلك ، فقد غادرت به خادمتك ميرتيس رومية ، ولتعلمي ان زعيم رومية قد سمح للطفل بالحياة ، لعلمه بانك اخفيت في مكان ما ، ثروة عظيمة لا تقل عن عشرة ملايين تركتها لولدك ، وان

الخادمة تعرف مكان هذا المال ، وستعطيه للطفل عندما يبلغ سن الشباب مد مل سمعت ما قلته لك ؟

فهزت رأسها بالموافقة ، فحنى رأسه باحترام وتوجه نحو الباب فلسا بلغه التفت يقول :

ــ ولتعلمي ايضا ان بارداليان قد تمكن من النجاة من الحريق فـــي القصر الضاحك وهو ـلا يزال حيا يرزق ٠

* * *

كان زعيم رومية في غرفته المتواضعة ، يفكر بمشروعاته العظيمة ، وبهذا المستند الذي حصل عليه من هنري الثالث ملك فرنسا ، وعرف فيليب ملك اسبانيا بأمره فارسل يطلبه بواسطة المفتش الاعظم • • او يحدث لعظيم رومية ما ليس بالحسبان •

ولم يكن يهم عظيم رومية ان يموت ٠٠ وانما كانت له اطماع ليريد تحقيقها قبل موته ٠٠ منها طرد فيليب ملك اسبانيا من ايطاليا ، وان يجعل من ايطاليا دولة موحدة مستقلة ٠٠ بعد ان كانت في الـوقت الحاضر ، تتجاذبها اطماع اسبانيا وفرنسا والنمسا ٠

قال يناجي نفسه:

_ لقد اقسمت لمندوب ملك اسبانيا اني احرقت هذا المستند وعلي" ان افعل .

ورفع المستند من مكانه.، وقر"به من النار ، ثم ما لبث ان اعاد الورقة اليه وهو يقول :

ـ يجب أن احتفظ بهذا المستند • • ولكن كيف العمل ؟

واحس في هذه اللحظة بان يدا قوية المسكت بالورقة ، فساستدار خائفا ، فاذا به يشاهد مونتالت ابن اخيه .

صاح به:

_ كيف تجرأ ؟

ومد يده الى مطرقة كانت امامه ليدعو خدمه ، ولكن مونتالت منعه ، وقال له :

ـ اذا اردت المحافظة على حياتك فلا تأت بحركة •

فانتصب الشيخ واقفا وقال له:

۔ هل تجسر ؟

_ نعم ، اذا لم احصل على ما اريده .

_ ما الذي تريده ؟

ــ اريد العفو عن فوستا •

وابتسم زعيم رومية ، فقد علم بانتجار فوستا وتناولها السم ، فقال :

ــ ليكن لك ما تريده •

وتناول ورقة امامه ، كتب عليها امرا بالعفو عن فوستا • • اعطاها لابن اخمه وهو نقول:

_ خذ هذا امر بالعفو عنها واعطني الورقة التي انتزعتها مني ٠

ــ قبل ان اعيد الورقة اريدك ان تعلم ، ان فوستا لم تمت ، وقـــد اسرعت انت بالعفو عنها ، لعلمك بموتها .

« لقد سقيتها دواء مضادا للسم الذي تناولته ، فنجت من الموت » • فكر زعيم رومية مليا ثم قال :

- ليست تهمني حياتها ٠٠ بعد ان هانت سلطتها بولادة طفلها ٠٠ واما انت فهل لا تزال تعشقها ايها الاحمق ٠٠ ان احدا في العالم لم يستطع تطويع فؤادها غير بارداليان ، وما انت مثله ٠٠ فما الذي ترجوه منها ؟ فاصفر وجه مونتالت ، ولاذ بالصمت لحظات ، ليقول بعد ذلك :

- لست اطلب منها شيئا ، وما فعلست الا لانقاذها من المسوت مده وسوف اسلم هذه الورقة الى فوستا ، لتأخذها بيدها الى الملك اسبانيا ، لانها تخصه وهي ملكه ، ولزيادة الاحتياط والحذر ساسافرمعها ،

وفكر زعيم رومية في موقفه .

لقد وجد آخيرا الحل لهذه الوثيقة الخطيرة .. وماذا يهمه احملت هذه الوثيقة فوستا ، ام سواها ، شرط ان لا تصل الى صاحبها .

ولما استقر فكره على ما يجب عليه عمله ، قال لابن اخيه :

ــ اذهبا الى حيث اردتما ٠٠ فقد عفوت عنكما ٠

وبعد دقائق كان مونتالت عند المفتش الاعظم •

اخبره بحصول على المستند ، وبائه سوف يدهب مع فوستا الى اسبانيا ليقدمه الى جلالة الملك قيليب ، وقد فعل ما فعل حتى يطمئن الى سلامتها .

وقطب المفتش حاجبيه في اول الامر ثم ما عتـــم ان وافق على هـــذا الرأى ، وقال :

ــ المهم وصول هذا المستند الى الملك في اقرب وقت ممكن •

فقال مونتاك :

ــ سوف تسافر الاميرة فوستا الى اسبانيا ، متى تمالكت صحتها ٠٠ لتستطيع تحمل مشاق السفر الطويل ٠

عرش فرنسا

لما فتحت فوستا عينيها ، وشاهدت (مونتالت) امامها أدركت انهذا الشاب العاشق قد استطاع اقناع عمه بالعفو عنها اخيرا .

ثم لما سمعت الحديث الذي دار بينه وبين المفتش الاعظم، أدركت الحقيقة .

وفكرت في انها قد تفيد من حب هذا الشاب ، ومن اختلافه مع عمه. لاغراضها الشخصية ، ثم ما لبث ان تذكرت ، انها تفضل الموت ، بدلا من العودة الى الصراع الرهيب الذي بدأته ، ولم توفق فيه .

وسمعت فيما سمعته ، قصمة المستند السري ، ثم ما قاله لها المفتش الاعظم عند وداعه ، من أن بارداليان ، لا يزال حيا يرزق .

اخذت تفكر في موقفها الجديد •

واقبل (موتنالت) في هذه اللحظة عليها ، فتمالكت عواطفها واعصابها. وقالت :

ــ هل عندك ما تقوله ٠٠٠ تكلم ٠٠٠

واستشعر الشاب بقوتها وسيطرتها ، فحنى رأسه .

وأحست فوستا انها قد تستطيع الافادة من حبه ، اذا كان لا بد لها من الحياة ، ولا بد لها من القيام بمفامرات جديدة ، في السياسة الدولية ، ومضى (مو تتالت) ، يقص عليها ما وقع له ، وكيف تمكن من الحصول على عفو زعيم رومية عليها .

فقالت:

ـ اذاً فان باستطاعته ان يسحب عفوه هذا ساعة يشاء ٠

فقال:

ـ بل انه لا يستطيع ذلك ، لاني قد تمكنت من الحصول منه على وثيقة تمنع عنك كل شر وأذى • • تفضلي يا سيدتي وطالعي هذا المستند •

تناولت فوستا الوثيقة واخذت تقرأ ما يلي :

« نحن هنري الثالث بنعمة الله ملك فرنسا ، نعلن اننا بالهام من الله، وعملا بنصيحة الآب الاقدس ، قررنا المحافظة على الديانـــة الكاثوليكية في مملكتنا .

« وبما ان هنري امير النافار عاجز عن القيام بشؤون فرنسا ، ولا يستحق الجلوس على عرشها ، لانه متهم بالمروق عن الكنيسة ، فقد قررنا ان نأمر رعايانا ، باننا قد اخترنا جلالة الملك فيليب الثاني ملك اسبانيا خلفا لنا على عرش فرنسا ، لانه زوج اليصابات شقيقتنا المحبوبة، ونأمر كل رعايانا الخاضعين لاحكام الكنيسة باعتباره دون سواه ، خلفا شرعيا لنا على هذا العرش » •

وقال مونتات بعد ان قرآت فوستا هذه الوصية :

_ وكذلك ترين يا سيدتي ، ان حظ ملك اسبانيا في عرش فرنسا اصبح عظيما ، وان هنري دي نافار قد خسر كثيرا ، ولا يبق معه اذا ما

نشر هذا المستند ، الا جماعة الهيكونوت انصاره • • لان انصار ملك فرنسا سوف يؤيدون ملك اسبانيا ، فالذي يعطيه هذا المستند يكون كمن اعطاه عرش فرنسا ، واذا تمكنت من الحصول على مساعدة فيليب ملك اسبانيا ، استطعت تأسيس مملكة جديدة ترضيك وتسعدك •

« وقد رأيت ان اسلمك هذا المستند ، لتكوني رسولي الى ملك اسبانيا » .

ولاذت فوستا بالصمت تفكر ٠

لقد هيأ لها هذا المستند فرصة جديدة لاعادة مجدها ، والوصول الى اغراضها .

ولكنها ما لبثت ان سألت (مونتالت) :

ــ وما الذي تريده منى مقابل هذه الخدمة ؟

قال:

ب سیدتی ۰

قالت:

ــ انا اتولى الجواب عنك ٠٠ لقد فعلت ما فعلت ، لانك تحبني ٠ خر" (مو نتالت) على الارض امامها ، ومد لها يده متوسلا مسترحما وانتصبت واقفة ، مخافة ان ينفجر غرامه ٠ وقالت :

ــ اني اعلم انك تحبني منذ مدة بعيدة ٠٠ ولكني لا استطيع مبادلتك حبا بحب ، لاني احببت سواك ، وفؤادي لا يقبل غرامين ٠

وجن جنونه لما سمع هذا الكلام ، وشهر سيفه ، وهجم عليها • فقالت له يهدوء:

- ــ نعم *** لقد احببت بارداليان *** واذا مات فلن تكون انت قاتله *
 - ۔ ومن الذي يقتله اذن ؟
 - ۔ انا ۰
 - ـ وما الذي يدعوك لقتله ا
 - ح*بى* له •

* * *

ظل عظيم روميــة يفكر في الموقف بعد خروج مونتالت •• واحسن · السبل الى استرجاع الوثيقة ، والقضاء على فوستا ثانية •

وفي هذه اللحظة اقبل عليه الحاكم الاعظم (سفوندراتو) .. وحدثه بما كان من محاولة مونتالت قتله ، وانه لم يكن ليبالي بهذا الاعتـــداء ، لولا انهما يحبان امرأة واحدة .

« لا يريد احدهما ان يتخلى عنها للآخر •• وان هذه المـرآة هي فوستا » •

فقال له عظیم رومیة :

لك ان تفعل ما تشاء ، وقد كنت في الماضي طلبت مني دوقيــة (بونته ماجيوري ومورسياتو) فهي لك الآن ، وهذا قرار بتعيينكعليها ه

فقال له الحاكم الاعظم:

ــ ما هذا الكلام • • لقد اخبرتك ان الرجــل الذي اكرهه واريــد قتله هو (مونتالت) ابن اخيك ، الذي اخترته ليكون خلفا لك • • فلماذا لا تحدثني عنه ؟

- أن موتتالت هذا قد أصبح عدوي ، وقد أخذ مني السلاح الذي يذهب بسلطتي وأعطاه لفوستا الذي عفوت عنها ، وهي ستذهب به الى ذلك الاسباني اللعين ، ولهذا أنصحك بأن تضربه في غرامه وأعماله ، بدلا من قتله .

واهتز الحاكم الاعظم لما سمع هذا الكلام وقال :

- فوستا حرة ٥٠ وقد عفوت عنها ٥٠ وهي ستذهب الى اسبانيا مع مونتالت ، أن هذا لن يتم ابدا ، ما دام بي رمق ٠

« ان الوظيفة التي منحتني اياها لا تنفعني في الوقت الحاضر •• كل ما اطلبه منك ، ان تصدر امرا بتعييني مديرا للبوليس ، وبعد ساعة من الزمن أعيد اليك المستند » •

« ان الجلاد لا يزال بالانتظار •• ولا بد ان اقضي على هذه المرأة. « واما (مونتالت) فسأقبض عليه واحاكمه كخائن ، واحكم عليه بالاعدام ، فلا تتأخر عن اعطائي هذه الوظيفة » •

ل أذا فعلت قلن تمر ايام الثلاثة حتى افارق الحياة • ذعر الحاكم الاعظم ، ومضى زعيم رومية يقول :

ان هناك ديوان التفتيش الذي يقبض على زمام الموقف • • ولو اردت القضاء على اعدائي لفعلت ، واكن هذا الديوان يحميهم في الوقت الحاضر •

« وانا بحاجة الى سنتين لتوطيد سلطاني ومركزي • • ولهذا سأسمح لاعدائي بمفادرة الارض التي تحت سلطاني » •

واذا كان الامر كذلك ، فسأتولى امرهم بنفسي .
 فقال زعيم رومية :

_ حل انت واثق من نفسك ؟

- ـ لست ارهب عشرين مثل مونتالت ه
 - ــوالمفتش الاعظم ؟
- ـ اعطني امرا ٥٠٠ فيقبض عليه في الحال ٠
- ـ وفوستا ؟ ال فوستا تسحقك باشارة منها٠٠ انت لست من رجالها٠

« ليس هناك غير رجل واحد وقف في وجهها ، وافسد عليها كل اعمالها ، وهو بارداليان •• فاذا رضي بمساعدتنا في هذا العمل نجعنا••» فقال الحاكم الاعظم:

- ــ سوف اذهب اليه واقنعه بمساعدتنا •
- ۔ انه رجل لیس کفیره من الرجال ، وما علیك الا ان تجرب حظك معه •• وهو الرجل الوحید الذي اكرهنی علی الاعجاب به
 - ۔ این اجدہ ؟
- ـ اذهب لمقابلة هنري دي نافار واطلعه على قصة المستند الذي تحمله فوستا ، والذي اكرهت على تسليمه الى (موتتالت) واذا التقت سارداليان ، قل له :
- ــ ان فوستا لا تزال على قيد الحياة ، وانها تحمل الى فيليب الثاني ملك اسبانيا ، سندا يكفل له الحصول على عرش فرنسا
 - _ ومتى يجب ان اسافر ؟
 - حالا ٠

* * *

غادر (سفوندراتو) رومية ، ينهب الارض على جــواده ، متوجهــا صوب فرنسا ، وكلما وصل الى فندق او محطة ابدل جواده بغيره ، حتى اصبح قريبا من باريس ، فالتقى بفارس فسأله عن اخبار هنري ملك النافار . فقال له الفارس المجهول :

ــ لقد علمت ان الملك يقيم في قرية مونمارتر ، وقد نزل في دير راهبات البنديكتيين الذي تراسه الاخت كلودين دي بوفيليه ، وهي تقضي ايامها ولياليها على ما يقال باقناع الملك بالرجوع الى الكثلكة •

« واذا اردت يا سيدي ان اقودلُهُ الى حيث يوجد ملك فرنسا فعلت، لانى على موعد معه في مساء هذا اليوم » •

فدهش الحاكم الاعظم لما سمعه ، ونظر الى الفارس الذي قد"ر انه في الاربعين من عمره ، وهو جميل الصورة ، قوي العضلات حائرا مذهولاه

ومضى الفارس المجهول يقول:

ــ ولسوف تخجل حين تشاهد هذا الملك في ثيابه المتواضعة ، اذا قيست بملابسك المحلاة بالذهب والريش الفاخر ، والوشي الثمين .

واستبدو بالدوق العاكم الاعظم الغضب ، وهدد الغريب بالعقاب ، ان مضى في تهكمه ، فرفع الفارس قبعته معتـــذرا ٠٠ ووعده ان يلــوذ بالصمت ٠٠ ولكن بلهجة ظاهرة التهكم والسخرية ٠

واستبد الغضب بالحاكم الاعظم ، وقرر معاقبة هذا الفارس اذا التقاء مرة ثانية ، وذلك بعد ان يجتمع الى الملك وبارداليان اللعين ٠

واخيرا وصل الفارسان الي باريس ، والى اعالي (شاليو) ••

وكان الصمت يخيم على العاصمة من بعيد ، ثم عاودا السير الى جهة مو نمارتر ، لان اسوار العاصمة كانت محاطة بجنود هنري الرابسع ، او ملك النافار سابقا ، الذين اخذوا يحاصرونها .

ولما وصلا الى الاسوار ، صادفا عددا كبيرا من الكهنة والرهبان وقد ارتدوا السلاح تحت البستهم ، يقومون بحراسة الاسوار واعمال الدفاع،

وخلفهم جمع من سكان باريس الجياع يروحون ويغدون خلفهم • وفجأة سمعا صياحا وجماعة يقولون :

_ الملك ٠٠٠ الملك ٠٠٠

وهجم جمع كبير من الفقراء على الاسوار ، وهم يدفعونالكهنــة امامهم .

واحاطوا بعربة الملك ، وهم ينادونه ويطلبون منه خبزا ٠٠٠ فقال لهم هنري الرابع ببساطة :

ـ لقد اتيت اليكم أيها الاصدقاء ، وجئتكم بما تريدون ولكن ما الذي يدعوكم للامتناع عن تسليمي عاصمتكم ؟

وشاهد الفارسان منظرا غريبا في هذه اللحظة • فقد ترجل هنري الرابع عن جواده ، وفعل مثله الفرسان الذين كانوا يحيطون به لحراسته واقبل من خلفهم عدد عظيم من البغال ، تحمل الخبز على ظهورها ، فأخذ الملك يوزع الخبز على الفقراء •

وبعد لحظات ، لم يبق فوق ظهر البغال ، قطعة واحدة من الخبز • ولما انتهى الملك من توزيع الخبز صاح يقول :

_ سوف احمل اليكم في الغد خبزا جديدا .

فصاح عندئذ الفارس الغريب ، الذي رافق الحاكم الاعظم قائلا:

_ احسنت يا صاحب الجلالة ٠

والتفت هنري الرابع ينظر الى الرجل الذي استحسن عمل ، فلما شاهده ظهرت الابتسامة على وجهه ،

وهتفه يقول:

ــ حمدا لله ٥٠ فقد جئت اخيرا يا بارادليان ٠

وعض الحاكم الاعظم على شفتيه •

لم يكن يعلم أن رفيقه في السفر لم يكن غير بارداليان ، الذي جاء للاجتماع به من ايطاليا .

وأردف الملك يقول :

۔ ان اسراعك في تلبية دعوتسي ، يؤكد لي انك سوف تكون من حزبنا .

فقال بارداليان:

ـ ان جلالة الملك أدرى الناس باخلاصى •

واصدر الملك امره الى رجاله بركوب جيادهم، للعودة الى مونمارتر. والتفت الى بارداليان يقول:

ـ واما انت فتعال معي ٠٠ وسر الي جانبي ٠

* * *

التفت عندئذ بارداليان الى رفيقه وقال له:

ــ ارجو ان تعرفنــي على تفسك يا سيــدي ، حتى اذا وصلنا الى مونمارتر تشرفت بتقديمك الى جلالة الملك كما وعدتك .

ــ اني ادعى (هرفل سفوندراتو، دوق بوتته ماجيوري ومارسياتو) ورسول البابا الى الملك والفارس بارداليان .

اضطرب بارداليان لما سمع هذا الجواب وقال:

ُ لم اكن اتوقع مثل هذا الشرف ه

ولما اصبح بارداليان بجوار الملك قال له هذا :

- ان مما يسوئني اصرار الباريسيين على عدم فتج مدينتهم لي • فقال بارداليان :

- _ سوف تسقط هذه الاسوار حين تريد جلالتكم
 - _ وكيف يكون ذلك ايها الفارس العزيز ؟
 - _ لقد قلت لجلالتكم ان باريس تساوي قداسا .

فقال وهو يبتسم:

_ سندرس هذا الامر في المستقبل .

واخبر بارداليان الملك في اثناء الطريق بأن رفيقه الدوق هو رسول الماما المه .

فوافق الملك على استقبال الرسول عند وصول الى معسكره في مونمارتو ه

ولما استقر به المقام ، اخبره الرسول بمهمته ، وسلمه نسخة من المستند الذي حصلت عليه فوستا ٠٠ والذي تريد تسليمه الى ملك اسبانيا ٠

كما قص عليه كيف تمكن (مونتالت) ، ابن اخي زعيم روميت من الوصول الى هذا المستند •

وبعد ان غادر (الدوق) الحاكم الاعظم حجرة الملك ، اجتمع الى بارداليان ، فأخبره ان زعيم رومية ، قد ارسله اليه ، ليخبره ان (فوستا) لا تزال على قيد الحياة ، وانها الآن في طريقها الى اسبانيا ، تحمل الى الملك فيليب الاسباني وثيقة تكفل له الحصول على عرش فرنسا .

فقال بارداليان بذهول:

ــ لا بد اذ كواهم يا سيــدي ، فما الذي في هذه الوثيقــة لتعطي ملك اسبانيا حق الجلوس على عرش فرنسا ؟

فقال الحاكم الاعظم:

_ انها الوصية التي كتبها هنري الثالث ملك فرنسا قبل مقتلمه

بزمن ، يعترف فيها ان فيليب الثاني ملك اسبانيا ، هو خليفته الشرعي الوحيد على عرش فرنسا •

لاذ بارداليان بالصمت لحظات ثم قال للرسول:

۔ هل هذا ما تريد ان تحدثني به ؟

ـ نعم يا سيدي ٠

ـ اذن الى الملتقى ، لاني سأذهب لمقابلة الملك الذي يريد الاجتماع بى •

ولما دخل بارداليان الى غرفة الملك وجد عنده جماعة من رجاله ، فأطلعهم جلالته على الوصية التي كتبها هنري الثالث قبل مقتله ، والتي يجعل فيها ملك اسبانيا خليفة له •

وكيف أن فوستا في طريقها الآن الى أسبانيا ، تحمل هذه الوصيــة الى الملك الاسبانى •

وقد اهتاج الجميع لسماعهم هذا الخبر ، وصاحوا ينادون بالقبض على (فوستا) ، واسترجاع الكتاب منها قبل ان يصل الى صاحبه .

وايتد بارداليان الفكرة •

وسأل الملك :

ــ من يكون الرجل الذي يستطيع القيام بهذه المهمة ؟

ولحظ (بارداليان) ان الانظار قد انصبت عليه ٠٠ فقال ببساطة :

ـ هل اصلح لاكون ذلك الرجل ؟

فطار الملك من الفرح وهتف يقول :

- أتقبل هذه المهمة أيها الصديق العزيز ؟

« حقا انك اذا فعلت ذلك ، وجلست على عرش فرنسا ، فان الفضل سيعود اليك » •

فقال بارداليان:

ـ انك لن تكون يا مولاي مديونا لي بشيء • • فآنا اعرف فوستا ، وسأسعى جهدي لاحصل على هذه الوثيقة منها ، قبل وصولها الى صاحبها •

وقال الملك بعد تفكير قليل:

- ويجب أن تظل مهمتك سرية بيننا لا يعرفها أحد ، ولهذا سأكلفك بمهمة ثانية ، وهي أن تذهب كرسول من قبلي ألى ملك أسبانيا ، لتسأله التوقف عن مد يد المساعدة ألى رجاله ، الذي يعملون خلف الاسوار مع الثوار في باريس •

ثم التفت الى كاتبه ، وطلب منه ان يعد الكتاب اللازم ، بتعيين الفارس بارداليان ، كسفير فوق العادة من قبلنا الى جلالة فيليب الثاني ملك اسانيا .

وان يتمتع بكل الصلاحيات التي تخولها له هذه الوظيفة منذ الآن . والتفت الملك الى بارداليان يسأله :

ـ كم عدد الرجال الذين تطلبهم لمرافقتك ؟

_ ما حاجتي بالرجال يا صاحب الجلالة ؟

ــ اترید ان تذهب بمفردك ، وان تقابل ملك اسبانیا ومحاكم التفتیش فیها وحدك ؟

ــ لقد تعودت يا مولاي ان اقوم بأعمالي بمفردي ، وقد نجحت في جميعها حتى الآن .

فقال الملك:

_ يا الهي ما اشد عنادك !

وقال في نفسه :

- على المرء ان يتوقع المستحيل مع رجل كهذا .
 - وسأل الملك بارداليان بصوت عال :
 - متى تريد السفر ايها الفارس العزيز ؟
 - ـ ساسافر حالا يا مولاي .

فقال الملك:

- انت بطل يا صديقي ٥٠ فاعطني يدك لاصافحك ٠

فصافح بارداليان الملك باحترام زائد ، وغادر الغرفة يتبعه (سانزي) كاتب الملك .

فلما تأهب الفارس لركوب جواده ، اقترب منه (سانزي) وسلمه اوراق اعتماده .

وقال ضاحكا:

- لقد امرني الملك يا سيدي ، ان اعطيك هذا المبلغ الزهيد لنفقات سفرك .

فتناول منه باردالیان کیس النقـود واردفه خلفه علی ظهر جـواده وقال :

ــ يبدو ان مولانا قد اصاب كنزا ، او ان الاشاعات عن بخله ، لا اثر لها من الصحة ، فان ما اعطانيه كثير يمثل ثروة .

قال هذا ولكز جواده •

فسار يسابق الربح •• وترك (سانزي) دهشا حائرا معجبا ببطولته • وجرآته ••• وطول لسانه •

اتنهى هذا الكتاب

الفهريس

الولاء الكاذب	٥
رأس الدوق	\\
مقتل الدوق دي كيز	٣.
نهاية مورفر	٤٧
مقتل ملك فرنسا	. 4.
فوستا في السجن	**
عرش فرنسا	A 7